الرافد

مجلة أسبوعية تهتم بشئون الحوزات العلمية

- السنة الأولي
- العدد: ٣٢
- الأثنين
- ٢٧ محرم الحرام ١٤٤٥ هـ.ق
- ٢٣ مرداد ١٤٠٢ هـ.ش
- ١٤ أغسطس ٢٠٢٣ م
- ٨ صفحات
- ٢٠٠٠٠ ريال

المؤلفون الأوائل في علم الرجال لدى الشيعة

• آيةالله العظمى الشيخ جعفر السبحاني

صفحة ٢

مقالة

كيف نقرأ كربلاء

• الشيخ إبراهيم أحمد الميلاد

صفحة ٣

صلت على زين العباد قلوبنا

منهاجُ زينِ العابدينَ مُخلَّدُ
شبلُ الحسينِ ومَنْ نَعاهُ السُجّدُ
ذكراهُ ذكرى الطفِّ يومَ تحيّرَتْ
في كربلاءَ عوائلٌ تستنجِدُ
صبرٌ تنوءُ به الجبابرُ صبرُهُ
فحفيدُ طه للأذى يتجلَّدُ
يستذكِرُ النيرانَ لما استُوقِدتْ
وضياعَ أهلِ البيتِ حين تشرَّدوا
ونداءَ واعيةِ الحسينِ مُناصِحاً
جيشَ الضلالِ ألا نِذارٌ فارشُدُوا
لكنهم جحَدوا بأحمدَ قائداً
(روحي فداهُ) واجرَمُوا وتصلَّدوا
تركوا الحسينَ على الرمالِ مُجندلاً
وذَوُوهُ أسرى والعقيلةَ قيَّدوا
وإمامُنا السجّادُ ينظُرُ باكياً
هذي المصائبَ وهو سِبطٌ مُصفَدُ
وبغَوا على السَّجادِ وهو مصابِرٌ
فَخصيمُهم يَومَ المعادِ محمّدُ
صلَّتْ على زينِ العباد قُلُوبُنا
حُزناً على الجرحِ الذي يتجّددُ
مأساةُ عاشوراءَ تُثقِلُ همَّنا
والشمسُ والرمضاءُ والمُتفرِّدُ
وهناكَ زينُ العابدينَ مُكبَّلٌ
يرعى العيالَ وجسمُهُ يتفَصَّدُ
ويكابدُ الأهوالَ في أسْرِ العِدى
ويقولُ يا جدّاهُ أين الذُوَّدُ
شوقاً الى قبرٍ تلوذُ بِلحدهِ
يا مصطفى إنّا بنهجِكَ نصمُدُ
قتلوا الحسينَ بكربلاءَ نكايةً
برسالةِ الاسلامِ حينَ استُبعِدُوا
سكبوا على آلِ النبوَّةِ حقدَهُم
ولقد غدَونا أُمّةً تتبدَّدُ
لهفي على يومٍ أضاعُوا حقَّنا
ليسوسَ فينا الخائنُ المتمرِّدُ
صبراً نقولُ فإنّنا بك أُسوةٌ
جدّاه يا طه فأنتَ المُرشِدُ
للهِ ما لَقيتْ بقيةُ احمدٍ
مِمّنْ عليهم أجمعوا وتأسَّدوا
ما هكذا الودُّ الذي أوصى به
طه الرسول المصطفى المُتوَدِّدُ

بقلم الكاتب والإعلامي: حميد حلمي البغدادي

قراءة في كتاب

على ضفاف الفرات

على ضفاف الفرات، كتاب لإبراهيم أمين السيّد، صدر عن دار المعارف الحكميّة. تناول هذا الكتاب مجموعة محاضرات في النهج الحسيني الكربلائي ألقيت في فترات زمنيّة متعاقبة أدرجها الكاتب ضمن ثلاثة محاور هي: الحريّة والتكليف، الأثر الكربلائي في التغيير وكربلاء، وبناء مجتمع العدالة الإنسانيّة. فمن شخصيّة الإمام الحسن عليه السلام التصالحيّة إلى المشيئة الإلهيّة باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام لحماية الدين الحنيف، فمسؤوليّة السيدة زينب عليها السلام في حمل وإشعال الثورة الكربلائية التي سطّرت معاني كربلاء في التضحية من أجل حماية الإسلام، فالتمهيد لظهور صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف. والكاتب هو عالم دين قيّم يتصدّى للأمور الدينيّة، يعمل جاهدًا في سبيل تحديد خيارات المجتمع وحفظ وحماية المبادئ والقيم الإيمانيّة والأخلاقيّة.

وتطرق الكاتب إلى شخصيّة الإمام الحسن عليه السلام التصالحيّة. هذه الشخصيّة التي رسمت حياته وفقًا لمبرّراتٍ سياسيّة، موضوعيّةٍ واجتماعيّة. فصلحه مع معاوية أثار جدلًا وإرباكًا كبيرًا في الذهن العام، ممّا ظهرت آراء مسيئة للإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، حيث اعتبروا أنّ الإمام الحسن رجل صلح، بينما الإمام الحسين عليه السلام رجل استشهاد. إلّا أنّ الأمر خلاف ذلك فالشخصيّة واحدة. هم أئمّة معصومين وحجّة الله على الأرض، وأيّ موقفٍ آخر هو خلل في العقيدة. ففي أغلب الأحيان يكون إجراء الصلح ليس اختياريًّا، بل يُفرض عليه، والإمام الحسن عليه السلام يقول في مسألة الصلح: "ما فعلته فهو لشيعتنا أفضل ممّا طلعت عليه الشمس". هذا الخيار لم يكن خيارًا عاديًّا وإنّما اضطراريًّا لظروفٍ وأحداثٍ اجتمعت وتفاعلت فيما بينها وفرضت هذا الخيار. هنا يجب التمييز بين الظروف والمبرّرات، بين الدوافع والأهداف؛ لأنّ الظروف تكون مناسبة للقرار وتساعد على اتخاذه، وقد تكون غير مناسبة للقرار ولا تساعد على اتخاذه. فالظروف قد تكون مناسبة للحرب باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام، والقرار بالسلم أو بالصلح كصلح الحديبية.

بينما قال الإمام الحسين عليه السلام: "شاء الله أن يراني قتيلًا وشاء الله أن يراهنّ سبايا". العظمة هنا التي تفوق استشهاد الحسين هي لياقة الحسين لأن يراه الله شهيدًا. فالرغبة الإلهيّة هي استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وسبي النساء، وهذا أرقى مقدّسات الفعل البشري التي فتحت عقولًا وثقافةً ليس بالكلمة ولا بالموعظة، بل بالدم والصبر والثبات. كذلك المقاومة التي انتصرت بتجسّدها إمكانيّات الموقف الحسينيّ. فكربلاء كانت أداءًا للتكليف الإلهي. العظمة هنا في الاندفاع لأداء التكليف. وقد قارن الكاتب في ذلك أداء إبراهيم النبيّ عليه السلام في أداء تكليفه بذبح ابنه فقال له: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾. فقال له ابنه: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾. هذا التكليف من أصعب الاختبارات عند الأنبياء ومع ذلك استجاب النبيّ للتكليف. كذلك مع الإمام الحسين عليه السلام فإنّ التكليف الذي من أرقى الأنواع، أدّاه برضى وسعادة "إنّي لا أرى الموت إلّا سعادة".

إنّ انتصار كربلاء هو قوّة الموقف، اليقين والإيمان، هو هذا العشق للقاء الله. العشق بين أصحاب الحسين عليه السلام والحسين. كما أنّ تكليف الأمّة بعد الحسين عليه السلام هو التضحية والاستشهاد والوفاء. قيمة الإنسانيّة بعد الإمام هي بقيمة هذا الدم. بالتالي، إنّ قول الإمام الحسين عليه السلام "هيهات منّا الذلّة" ، له علاقة بالقيم في كربلاء التي تجسّدت في أهل بيته وأصحابه.

سطّرت كربلاء أرقى قضايا الأمّة ومنها الحريّة: "فكونوا أحرارًا في دنياكم". الحريّة التي سعى لها الإمام هي الكرامة. فالإمام الحسين نظر إلى كربلاء من منظور الأمل، واستشهاده هو مساهمة كبرى في وصول الزمن ومن أجل مجيء المخلّص الحجّة المنتظر. إنّ عظمة هذا الاستشهاد هي بعظمة الهدف النهائي الذي يريده الله تعالى في إقامة العدل والسلام في العالم. فما وصلت إليه البشريّة من يأسٍ بكلّ الدول، لم يعد هنالك أملٌ للمجتمع البشريّ لتحقيق السلام والحريّة والأمن إلّا التمسّك بعقيدة ظهور الإمام الحجّة المنتظر. وقد ذكر الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

كربلاء هي الفكرة والثورة التي تحمل المضمون العقائدي الكامل، وكذلك الروحي، الاجتماعي، والسياسي. هذا المضمون الذي صنع الأجيال، المستقبل والمصير. إنّ الألطاف الإلهيّة والنعم الكبرى التي حصلت من خلال استشهاد الإمام الحسين عليه السلام شكّلت معادلةً وأطروحةً عقائديّةً كاملة، من المهمّ أن تكون أمامنا حتّى نستطيع أن نقدّمها للناس والمجتمع.

إنّ اللطف الإلهي للبشر مطروحٌ في العقائد. هذا اللطف كان انبعاث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لبناء مجتمعٍ بشريّ عالميّ كونيّ، يقوم على أساس الإسلام وقيمه. هذا الخطّ تأسّس مع الرسول وكلّف الكثير من الشهداء. وكان من ضمن شروط البناء شروط الاستمرار "إنّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي". فقد ظهر طابعٌ عام في تلك المرحلة يحمل مضمونًا بصيغة التنكّر لكلّ النصوص التي تشير إلى العلاقة مع أهل البيت كبوابة استمرارٍ لخطّ النبوّة في سبيل تحقيق هدف سياسيّ أوليّ. ودفع المجتمع الإسلامي والبشري ثمنًا كبيرًا لهذه السياسة في عهد الخلافة الأولى والثانية والثالثة، حيث حصلت ثورة كبيرة أعادت أمير المؤمنين عليه السلام إلى السلطة. فالتاريخ يعكس المؤامرة على خطّ النبوّة والإمامة وأهل البيت عليهم السلام. الإمام الحسن وصل إلى نقطةٍ بين حرب الإبادة، أو أن يبقى الإمام ويبقى معاوية، ولكن السلطة لمعاوية. والصلح كان قائمًا على قاعدة أنّ خطّ النبوّة في شروط الصلح قد التزم بها معاوية. والإمام الحسن عليه السلام يقول: "ما فعلت ما فعلت إلّا لدفع القتل عن شيعتي، ولولا ما فعلت ما بقي أحدٌ من شيعتنا إلّا لقتل تحت شجر ومدر".

صالح الإمام الحسن عليه السلام معاوية ليحضّر للخطوة التالية المتمثّلة بالإمام الحسين عليه السلام، ومعاوية ليمهّد ليزيد. فالإمام الحسين قال: "إنّا أهل بيت النبوّة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ويزيد رجل كافر فاسق فاجر قاتل النفس المحترمة اللاعب بالقرود ومثلي لا يبايع مثله، يأبى الله لنا ذلك ورسوله المؤمنون وجحور طابت وطهرت وأنوف حميّة". وقد أعلن الإمام كلامًا مهمًا: "والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل". إنّ موقع أهل بيت النبوّة لا يسلّمه لأحد، فبدون خطّ النبوّة، بدون اللطف الإلهي، العناية والرحمة لا تستمرّ الحياة. لذلك فإنّ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء يمثّل قمة اللطف الإلهي والرحمة الإلهيّة للبشر. في هذا الصدد يقول الإمام الحسين: "إن كان دين محمّد لم يستقم إلّا بقتلي فيا سيوف خذيني".

إنّ الإمام الحسين دفع حياته ثمن خطّ النبوّة، ذُبح في كربلاء، قُطع رأسه، مُلِئ صدره بالسهام، حُمل رأسه من كربلاء إلى الكوفة إلى الشام حتّى يبقى خطّ النبوّة في الحياة. إنّ كلّ ما حصل اعتبرته السيّدة زينب عليها السلام قربانًا، حيث قالت في مجلس يزيد: "يا يزيد لئن جرت على الدواهي مخاطبتك، فكد كيدك واسع سعيك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تمت وحينا".

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، فالإرادة التشريعيّة أي إرادة التكليف موضوعها القابليّة، والتشريع هو إظهار الجمال الإلهيّ الذي يريده في الإنسان. هذه هي العبادة وهذا هو التكليف. ففي كربلاء حين قال الإمام الحسين عليه السلام: "ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركّز بين اثنتين بين السلّة والذلّة وهيهات منّا الذلّة". هذا الكلام الذي يحمل قيمةً تشريعيّةً عميقةً هو تجسيدٌ لقابليّة الإباء. إنّ عبارة "ما رأيت إلّا جميلًا"، هي من أروع درجات الجمال والكلام الإنساني، الذي يتناسب مع الجمال والكمال الإلهيّ.

كرّم الله سبحانه وتعالى الإمام الحسين عليه السلام بأن رهن وجود الإسلام بدمه وبصبر زينب عليها السلام، كما رهن الله وجود الإسلام ووجود الرسالات بحياة الأنبياء. وما نواجهه اليوم يجب أن يكون على مستوى من المسؤوليّة لننتج ثمرة من ثمار كربلاء. فالإسلام هو الذي طهّر الأمّة التي تحمل قيمة إلهيّة حضاريّة وإنسانيّة. إنّ الإمام الحسين عليه السلام أعطى لكلّ الثوّار في العالم ما يحتاجونه من حريّة وكرامة وعزّة.

كما ويشير الكاتب إلى أنّنا أمام تكليف إلهيّ حسينيّ زينبيّ في حمل هذه الشعلة وحمايتها تمهيدًا لبناء دولة الحقّ على يد صاحب العصر. فلنكن ثمار الدم المفدّى، ثمار أشرف الرؤوس التي علّقت على الرماح، ولنكن نحن من نادى إليه الإمام لنصرته في كربلاء لإعلاء راية الحق. فهل أنت أمام تحدّ للمهام في تعميم التأسيس الذي خطّ بأشرف دم؟

حاول السيّد في كتابه أن يعالج مفردات الثورة الحسينيّة المباركة بمنهجٍ تحليلي. فبيّن لنا أنّ الحدث الكربلائيّ هو حدثٌ مكمّلٌ لنهج الأنبياء عليهم السلام، وممهّدٌ لظهور صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف. فقد حبك أمين السيّد أفكاره في محاولةٍ لإبراز محاور كان قد عرضها بمثابة موضوعه العام إلى أن تطرّق إلى التعمّق في عناوينها. فعمل على توضيح ما كان مبهمًا في الذهن العام. ليوضّح دور كلٍّ من الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام في أداء التكليف والسعي نحو الحريّة، أي حريّة الإنسان من آثام الجاهليّة وشراستها نحو حريّة العقل والنور الذي ينير به الإنسان دربه. وما بين الحريّة والتكليف مسؤوليّة وقرار. فقيمة الإنسان بعد الحسين عليه السلام هي بقيمة هذا الدم.

عبّر الكاتب عن رؤيته الفكريّة للثورة الحسينيّة مساهمًا في رسم خيار الحقّ. فللوجود الكربلائي أثرٌ زمانيٌّ ومكانيّ. فعمد إلى تأريخ أحداث ما قبل الثورة الحسينيّة مستعرضًا المؤامرات التي حيكت لضرب الإسلام على يد بني أميّة. نجح السيّد في ربط الأحداث ودورها الناجح في الحفاظ على الدين الذي سعى إلى تشويهه بنو أميّة، حيث اعتمد أسلوب الإيضاح في نصوصه، فأكثر من الأدلّة والبراهين في دعم العناوين التي طرحها.

إلى جانب ذلك لم يتخطّ الموضوع بل جاء كتابه كلٌّ متماسك، موحّد المضمون، بحيث نجول وندور بين سطوره ونبقى في اتجاهٍ واحد. اختار في سياقه الكلام العذب الراقي لجدّة الموضوع وجدّة إرادة توصيله للفكرة. بالفعل إنّ الكتاب جديرٌ بالقراءة والتصفّح لما فيه من لذّةٍ جميلةٍ تثير فينا أثر معنويّ عاطفيّ، وملمس معرفيّ أصيل يثبّت دعائمنا وأصولنا العقائديّة المحمّديّة الصحيحة. فما سعى إليه الكاتب هو كشف الغشاء الواهم عن الحقيقة، ومسح كلّ الغبار عن مشوّهات الإسلام، وبالتالي بلورة جوهرة الرسالة المحمّديّة الثمينة التي حافظ على رونقها الإمام الحسين عليه السلام بدمه فزادها إشراقًا، مسطّرًا أبهى معاني البطولة والتضحية بقوله: "إن كان دين محمّد لم يستقم إلّا بقتلي فيا سيوف خذيني". إنّ لاستشهاد الحسين عليه السلام دور بارز في إفشال مشروع الدولة الأمويّة الباطلة وتمهيد لحفظ دولة العدل الإلهي. فمن منطلق حماية الدين الحنيف إلى حريّة الإنسان فصحّة القيم والمبادئ، فرض الله تعالى التكليف والمسؤوليّة على الجميع في سبيل إعلاء كلمة الحقّ وزهق الباطل. فهل نشهد الاستعداد التكليفيّ الكامل الذي أعدّ له الإمام الحسين عليه السلام؟ وكيف نسعى إلى تقريب الأمل الذي زرعه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام في قلوبنا؟ نحن نواجه اليوم تحدّياتٍ صعبةٍ على جميع الأصعدة الاجتماعيّة، الدينيّة، الإعلاميّة، النفسيّة، الاقتصاديّة والسياسيّة. فالشعلة التي أشعلها الحسين عليه السلام والتي أوّل من حملها ومشى فيها في سبيل إنارة العقول المظلمة، ونشلها من مستنقع الكهوف الظالمة المستبدّة والقاهرة إلى الحريّة والعزّة والكرامة في الدنيا والآخرة هي العقيلة زينب عليها السلام، ومسؤوليتنا من الله هي حماية راية النصر التي رُفعت بالدم التي انتصر على السيف.

فكربلاء تحمل معاني ودلالات ودروسًا وعبرًا ومفاهيم كبيرة وكبيرة جدًا، لكن موضوع كربلاء يجب أن نفهمه من هنا، ما معنى وصول يزيد إلى السلطة؟ وما معنى أنّه لم يبقَ مع الحسين عليه السلام إلا ثلاثة وسبعون؟ ما معنى ذلك؟ وما معنى أن يأتي الحسين عليه السلام إلى كربلاء هو وأهل بيته وأولاده ونساؤه وأطفاله؟ لماذا لم يدعهم في المدينة؟.

كلّ ذلك لأنّ قواعد بناء دولة العدل الإلهيّ ممثّلة بالحسين عليه السلام. بيّن لنا السيّد في ختام الكتاب مغزى كربلاء، وأهميّة هذه الروح العظيمة التي اختارها الله تعالى لإعلاء الكلمة العليا ولسحق يزيد والدولة الأمّارة بالسوء.

المصدر: المعارف الحكمية

الأخبار الدولية

استعداداً لزيارة الاربعين المليونية؛ قسم الشعائر الحسينية يقيم مؤتمره السنوي الخاص

اقام قسم الشعائر والمواكب الحسينية في العراق والعالم الإسلامي التابع للعتبتين المقدستين الحسينية والعباسية، مؤتمره السنوي الخاص بتنظيم زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام لعام ١٤٤٥هـ. وشهد المؤتمر حضور ممثلي العتبة الحسينية والعباسية ومجموعة من مسؤولي ممثليات المواكب الحسينية في محافظات العراق.

مركز الاعلام الدولي

أكثر من ٣٠٠ موكب ايراني يخدمون زوار الاربعين عند الحدود العراقية

أكد رئيس منظمة الأوقاف والشؤون الخيرية في ايران حجة الاسلام، سيد مهدي خاموشي، أن أكثر من ٣٠٠ موكب سيقدمون الخدمات لزوار الاربعين في الحدود العراقية، موضحا أن هذه المواكب ستنتشر في هذه الحدود منذ يوم ١٠ صفر المقبل.

الكوثر

ناشطون في السويد يطالبون بتجريم حرق المصحف

أكد ناشطو منظمة حقوقية مدنية في السويد، على ضرورة إدراج "حرق القرآن" ضمن جرائم الكراهية، مطالبين بوقف مثل هذه الممارسات. ونشر الناشطان في منظمة "المدافعون عن حقوق المدنيين"، أندريس بيترسون، وجون ستاوفر، مقالة بعنوان " قوموا بتفعيل قانون جرائم الكراهية لوقف حرق القرآن".وطالب الناشطان بتفعيل قانون جرائم الكراهية في هذا النوع الحوادث أي حرق القرآن، ومحاسبة الشخص الذي يقوم بالحرق.

شفقنا

دور المرجعية العليا في الطليعة؛ العتبة الحسينية تعقد الملتقى الأول لـ«الدبلوماسية الدينية» بالتعاون مع وزارة الخارجية

عقدت العتبة الحسينية المقدسة بالتعاون مع وزارة الخارجية العراقية الملتقى الأول لـ "الدبلوماسية الدينية والثقافية" وذلك في مقر الوزارة بالعاصمة بغداد وبحضور رسمي. وكان لدور المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف الحضور الأقوى في كلمات المشاركين.

وذكر ممثل العتبة الحسينية في الملتقى السيد الدكتور سعد الدين البناء لـ "موقع الأئمة الاثني عشر" أن "الملتقى يقام للمرة الأولى وبالتعاون مع وزارة الخارجية العراقية التي رحبت ترحيباً حاراً بوفد العتبة الحسينية المقدسة الذي ضم عدد من الشخصيات الدينية والثقافية.

الأئمة الاثنا عشر

الشيخ خطيب يستنكر التفجير الإرهابي في دير الزور

استنكر نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان ، الشيخ علي الخطيب، بشدة التفجير الارهابي في منطقة دير الزور في عمل وحشي اعتادت العصابات التكفيرية ارتكاب أمثاله لاستهداف مسيرة الأمن والاستقرار في سوريا.

العالم

في البحرين؛ تظاهرات حاشدة تضامنا مع معتقلي الرأي المضربين عن الطعام

يواصل معتقلون سياسيون في البحرين إضرابا عن الطعام احتجاجا على ظروف الاعتقال القاسية والقيود على ممارسة الشعائر الدينية. في السياق نفسه، اعلن معهد البحرين للحقوق والديمقراطية أن مئات المعتقلين السياسيين يشاركون في هذا الاضراب لليوم الخامس على التوالي مشيرا الى أن السجناء يتعرضون لعمليات إذلال نفسي وجسدي بشكل يومي.

احتجاجا على ظروف السجن القاسية، يواصل معتقلون سياسيون في البحرين اضرابا عن الطعام.

الكوثر

الرئيس الإيراني: الزيارة الأربعينية تحولت اليوم إلى مسيرة حضارية

أكد رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية إبراهيم رئيسي، أنّ الزيارة الأربعينية لمرقد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء "تحولت اليوم إلى مسيرة حضارية ومظهر من مظاهر المقاومة بفضل الشعوب المتماسكة ضد قوى الهيمنة العالمية".

براثا

مقال

المؤلفون الأوائل في علم الرجال لدى الشيعة

آية الله العظمى الشيخ جعفر السبحاني

اهتمّ علماء الشيعة بعد عصر التابعين بعلم الرجال، نذكر المؤلّفين الأوائل:

١. عبدالله بن جبلة الكناني (٢١٩) قال النجاشي: وبيت جبلة مشهور بالكوفة وكان واقفاً، وكان فقيهاً ثقة مشهوراً. له كتب، منها كتاب الرجال....

٢. علي بن الحسن بن فضال كان فقيه أصحابنا بالكوفة ووجههم وثقتهم وعارفهم بالحديث، من أصحاب الامام الهادي والعسكري له كتب منها كتاب الرجال. وهذا المعروف بابن فضال الصغير، وأبوه الحسن هو ابن فضال الكبير وكلاهما فطحيان.

٣. الحسن بن محبوب السراد (١٥٠ ـ ٢٢٤) الراوي عن ستين رجلا، من أصحاب الصادق له كتاب «المشيخة» وكتاب «معرفة رواة الأخبار».

٤. أبو عمرو الكشي البصير بالأخبار والرجال، تلميذ الشيخ العياشي، وكتابه المعروف بـ «معرفة الرجال» هو الّذي لخّصه الشيخ الطوسي وأسماه بـ «اختيار معرفة الرجال» وهو الموجود في الاعصار الأخيرة.

٥. الشيخ أبو العباس أحمد بن علي النجاشي (٣٧٢ ـ ٤٥٠) من نقّاد هذا الفن ومن أجلاّئه وأعيانه حاز قصب السبق في ميدان علم الرجال، له كتاب فهرس مصنفي الشيعة المعروف برجال النجاشي وقد طبع أخيراً محقّقاً في مؤسستنا «الامام الصادق عليه السلام».

٦. والشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠) الغني عن التعريف عمل كتابين أحدهما الفهرست والآخر الرجال ويعدّان من أُمّهات الكتب الرجالية، وتوالى التأليف في علم الرجال وأخيه علم الدراية إلى عصرنا هذا، وقد أنهى الشيخ الطهراني المؤلّفين من الشيعة في علم الرجال فبلغ قرابة خمسمائة مؤلّف شكر الله مساعي الجميع.

هذا عرض موجز من مشاركة علماء الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية عن طريق تأسيس العلوم واكمالها وتطويرها، وأنت إذا وقفت على جهودهم الجبّارة في القرون الأولى وما بعدها إلى عصرنا الحاضر، تقف على طائفة كبيرة من عمالقة العلم وجهابذة الفضل، كرسوا حياتهم الثمينة في ارساء صرح الحضارة الإسلامية ورفع قواعدها فأخلدوا لأنفسهم صحائف بيضاء ولصالح أُمّتهم حضارة انسانية، كل ذلك في ظروف قاسية وسلطات شديدة الكلب، وأضغان محتدمة، إلاّ في فترات يسيرة.

المصدر: الأئمة الاثنا عشر

ملاحظة

خطوات نحو اليقين

بقلم: السيّد الشهيد آية الله عبدالحسين دستغيب قدس سره

الإيمان بالله يعني معرفة الحقّ واتّباعه. والإيمان ليس شيئاً موجوداً خارج الإنسان يدخل إلى قلبه عن طريق الحواس كالعين والأذن، بل هو أمر تكوينيّ وفطريّ أُعطي للإنسان حين خلْقه، كما أُعطي القدرة على زيادته، إذ إنّه يستطيع ببركة اتّباع الشرع والالتزام بتطبيق التعاليم الإلهيّة، أن يصل إلى أعلى درجات اليقين كما سيأتي.

الإيمان مصدر طاقة

هذه الفطرة والقدرة على معرفة الله في كيان الإنسان هي كالتيّار الكهربائيّ في الأجسام. كما أنّ الاستفادة من الطاقة الكهربائيّة الكامنة في الأجسام تتوقّف على الأسباب والوسائل العلميّة والتجريبيّة، فكذلك ظهور نور العلم والإيمان المستقرّ في كيان الإنسان والمودع فيه، يتوقّف على أمور، إذا سعى الإنسان وعمل على تحصيلها، يظهر هذا النور ويظلّ يزداد حتّى يصل إلى درجة اليقين. وإذا أهمل الإنسان تحصيل هذه الأمور، يتضاءل هذا النور رويداً رويداً حتّى ينطفئ نهائيّاً.

الطهارة من الأدران

يتوقّف ظهور نور الفطرة بشكل عام على أمرين:

١. "التخلية": وهي أن يُطهّر القلب ويفرّغ من أنواع الأدران والتلوّثات من النزوات والأفعال الحيوانيّة والشيطانيّة. وباختصار: أن يطهّر الإنسان قلبه من الغفلة عن الحقّ التي طغت على فطرته، فأصدأت مرآة قلبه وغطّتها، بالتفصيل الذي سيأتي.

٢. "التحلية": هي أن يقوّي نور الفطرة بواسطة التفكير والذكر ليحلو القلب بذكر الله، كما سيأتي.

الإيمان فطريّ

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ (الروم: ٣٠)؛ أي أقبل بوجهك على التوحيد والإسلام الذي هو الدين الحقّ (الحنيف) والتفت إليه، ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم: ٣٠). المراد بالفطرة تلك القدرة على معرفة الله وتوحيده والالتزام بلوازم التوحيد، وهذه القدرة أودعها الله في كيان الإنسان، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾؛ أي أنّ فطرة الله لا تقبل التغيير، أو أنّ المراد أنّه لا يصحّ لك أن تغيّر فطرة الله، أي يجب عليك الثبات على التوحيد وطريقة الإسلام، ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠).

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾

توضيح ذلك أنّ كلّ مخلوق خلقه الله، سواء أكان جماداً أم نباتاً أم حيواناً وغير ذلك، قد منحه سبحانه قدرة التكامل، أي الوصول إلى الكمال الذي يناسبه، وخلق فيه الحركة نحو هذا التكامل، بحيث إنّ التبديل والتغيير في ذلك محال؛ فحبّة القمح مثلاً، أودع الله فيها قدرته، بحيث إذا توفّرت الأسباب، أي إلقاؤها في التراب ووصول الريّ إليها، فإنّها تنشقّ ويصبح نصف منها جذراً يستقرّ في الأرض، والنصف الآخر يخرج من التراب ويتحول إلى نبتة تعطي من القمح أضعاف الحبّة الأصليّة، وهذه السُّنّة في حبّة القمح لن تتغيّر أبداً، أي أنّ حبّة القمح لن تنبت عدساً أو شعيراً أبداً.

الاستقامة على طريق الفطرة: كمال الإنسان

أودع الله في الإنسان القدرة على التكامل في تنظيم حياته الماديّة، وتأمين راحته في حياته الأبديّة، والوصول إلى المراتب الروحيّة، وهو لا يبلغ هذا الكمال إلّا إذا استقام على طريق التوحيد والالتزام بدين الله.

ولأنّ بلوغ الإنسان الكمال الذي يناسبه يتوقّف على اختياره ورغبته في توظيف تلك القدرة المودعة فيه واستخدامها حتّى يصبح من أهل الإيمان والمعرفة متحلّياً بالأخلاق الفاضلة، فمن الواضح جدّاً أنّ الاستقامة على طريق التوحيد تتنافى مع الميول الحيوانيّة التي يحتاج الإعراض عنها إلى همّة عالية كما تقدّم.

وخلاصة القول: إنّ بلوغ كلّ موجود الكمال الذي يناسبه، هو أمر حتميّ عند توفّر الأسباب. وفي الإنسان، يعدّ السبب الرئيس إرادته، وغالباً ما يقنع الإنسان بالمستوى الحيوانيّ، ولا يطلب "الإنسانيّة" ولا يريدها حتّى يصل إليها. والهدف من كلّ المواعظ والتحذيرات والترغيب بالثواب والتخويف من العقاب هو تحريك هذه الإرادة والطلب في الإنسان؛ ليصبح طالباً الوصول إلى مستوى الإنسانيّة غير قانع بمستوى "الحيوانيّة".

التحلية بالفكر والذكر

بعد إزالة العقبات التي تمنع من معرفة الله، تجب المواظبة على عملين: التفكير والذكر.

يقول تعالى في سورة آل عمران (الآيتان ١٩٠-١٩١): ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ﴾ (والكواكب التي تظلّلنا بأسرارها وعجائبها) و﴿فِي خَلْقِ... وَالأَرْضِ﴾ (التي نعيش عليها بما فيها من عجائب المخلوقات)، ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (وفق هذا النظام الثابت)، ﴿لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ* الَّذِينَ

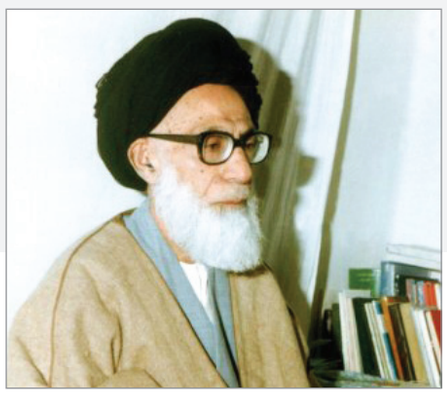

يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ (أي يذكرون الله في جميع حالاتهم، وعلى جنوبهم تعني حالة النوم والاستراحة)، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (فيدركون أنّ هذا العالم العظيم لم يُخلق عبثاً بل خُلق لهدف سام، هو وصول الإنسان إلى مقام المعرفة والعبوديّة ومن ثَمّ إلى السعادة الأبديّة)، ويقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ (أنت منزّه عن العبث)، ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (ودلّنا على طريق المعرفة وثبّتنا عليه). هذا التفكّر يقود إلى الذكر.

التقدّم الدنيويّ والتأخّر المعنويّ

أيّها القارئ العزيز: تأمّل جيّداً في هذه الآية الشريفة: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم: ٧). أليس أكثر الناس اليوم كذلك، كلّ علومهم تنصبّ على عالم الدنيا والحياة الماديّة، وقلّما تجد موضوعاً لم يحرزوا فيه تقدّماً مذهلاً؟

مثلاً: في علم الزراعة وعلم النبات، وصلوا إلى مستوىً رفيع. في علم الطبّ والجراحة، وطريق تشخيص المرض والدواء لبدن الإنسان، أحرزوا تقدّماً هائلاً بحيث يمكنهم إجراء عمليّة جراحيّة للقلب أو استبداله.

وفي مجال اختراع لوازم المعيشة وتأمين وسائل الراحة، ابتكروا أشياء لم تكن تخطر على بال. وقد تجاوزوا الأرض لتسخير الفضاء وقطعوا مسافة كبيرةً جدّاً وحطّوا على سطح القمر.

ولكن يا للأسف! بالرغم من كلّ هذه العلوم عن ظاهر هذا العالم، فإنّهم يجهلون كلّ شيء عن باطن العالم وخالقه، وهم لا يعتقدون بفناء هذا العالم وزواله، رغم أنّ العلماء في هذا العصر وصلوا إلى هذه الحقيقة وقالوا: إنّ للأرض أجلاً وعمراً تتلاشى بعده، وقالوا: إنّ منظومتنا الشمسيّة هي الآن في سنّ الشيخوخة والهرم.

وأوضح من هذا كلّه فناء كلّ فرد، فلا بقاء لأحد هنا، ولكن هذا لا يؤثّر في قلوبهم حتّى يبعثهم على التفكير في حياة ما بعد الموت!

المصدر: مقتبس من كتاب القلب السليم، ج ١، ص ١٩١ - ١٩٥، "مجلة بقية الله"

علماء وأعلام

الميرزا علي الإيرواني رحمه الله

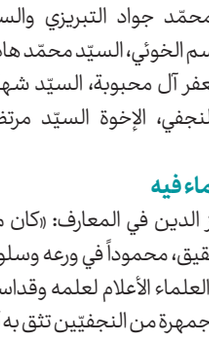

اسمه ونسبه

الميرزا علي ابن الشيخ عبد الحسين بن المولى علي أصغر الإيرواني.

والده

الشيخ عبد الحسين، «عالم فاضل، وخطيب بارع... وقد نال حظّاً وافراً من العلم، كما كان من أهل الوعظ والإرشاد المعروفين في وقته، فقد برع في الخطابة، وحُظي بشهرة واسعة فيها».

ولادته

ولد في الخامس والعشرين من شعبان ١٣٠١هـ في النجف الأشرف بالعراق.

دراسته وتدريسه

بدأ بدراسة العلوم الدينية في مسقط رأسه، ثمّ سافر إلى كربلاء عام ١٣٣٦هـ للحضور في درس الميرزا محمّد تقي الشيرازي، ثمّ رجع إلى النجف عام ١٣٣٩هـ، واستقرّ بها حتّى وافاه الأجل، مشغولاً بالتدريس والتأليف وأداء واجباته الدينية.

من أساتذته

الميرزا محمّد تقي الشيرازي، الآخوند الخراساني، السيّد محمّد كاظم اليزدي، الشيخ عبد الحسين الرشتي، الشيخ حسن التويسركاني، السيّد إبراهيم الدرودي الخراساني.

من تلامذته

الأخوان السيّد محمّد جواد التبريزي والسيّد علي، السيّد أبو القاسم الخوئي، السيّد محمّد هادي الميلاني، الشيخ جعفر آل محبوبة، السيّد شهاب الدين المرعشي النجفي، الإخوة السيّد مرتضى المستنبط و....

من أقوال العلماء فيه

١. قال الشيخ حرز الدين في المعارف: «كان من أهل الفضيلة والتحقيق، محموداً في ورعه وسلوكه وتُقاه، محترماً عند العلماء الأعلام لعلمه وقداسته واستقامته، وكانت جمهرة من النجفيّين تثق به أتمّ الوثوق والاطمينان على حداثة سنّه».

٢. قال تلميذه الشيخ آل محبوبة في ماضي النجف: «هو أحد أعلام هذا البيت، ومن العلماء الحائزين منصّة الاجتهاد، والمعروفين بالتحقيق والتدقيق».

٣. قال الشيخ آقا بزرك الطهراني في الطبقات: «عالم كبير، ومدرّس بارع».

٤. قال الشيخ محمّد هادي الأميني في المعجم: «عالم فاضل فقيه، من أساتذة الفقه والأُصول، حاز على منصّة الاجتهاد والفتيا... وتقدّم في العلم وبرع، وأصاب حظّاً وافراً، وتصدّى للتدريس، وتخرّج عليه كثيرون».

من صفاته وأخلاقه

قال تلميذه الشيخ آل محبوبة في ماضي النجف: «وكان حسن الأخلاق، طيّب المعاشرة، عربي الذوق، سليم الذات، نقي الضمير، تعلو أسارير وجهه البشاشة، وتقطر أخلاقه لطافة وظرافة».

من مؤلّفاته

حاشية كتاب المكاسب (٣ مجلّدات)، بشرى المحقّقين وبغيي المجتهدين (مجلّدان)، نهاية النهاية في شرح الكفاية (مجلّدان)، الأُصول في علم الأُصول (مجلّدان)، جمان السلك في الإعراض عن الملك، الذهب المسبوك في اللباس المشكوك، عقد اللئالي في فروع العلم الإجمالي، هدية الصبيان، الوراثة الأحمدية، حاشية على العروة الوثقى، حاشية على الكفاية، كتاب الطهارة، كتاب الصلاة، كتاب الحج، كتاب الخمس.

ومن مؤلّفاته باللغة الفارسية: خير الزاد ليوم المعاد (رسالته العملية).

وفاته

تُوفّي قدس سره في الثاني عشر من ربيع الأوّل ١٣٥٤هـ في كربلاء، ثمّ نُقل إلى النجف، ودُفن في الصحن الحيدري للإمام علي عليه السلام.

تعريف بكتاب

مشكاة الأنوار في غرر الأخبار

مِشْكاةُ الأنوار فى غُرَرِ الأخْبار، كتاب يتناول المواضيع الأخلاقية والآداب الإسلامية لعلي بن الحسن الطبرسي حفيد أمين الإسلام الطبرسي، من علماء القرن السادس والسابع الهجري، كتبه تكملة لكتاب كان أبوه قد شرع في كتابته، ولكنه لم يكمله، فكمّله، ونظّمه في عشرة أبواب.

لمحة عن المؤلف

هو أبو الفضل علي بن رضي الدين أبي النصر الحسن بن أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، حفيد الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان.

حول الكتاب

كتاب مشكاة الأنوار كتاب أخلاقي، حيث يعتبر مصدراً لأحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام، وقد أخذ منه العديد من العلماء منهم العلامة المجلسي فقد نقل عنه الكثير من الأخبار في كتابه بحار الأنوار حيث قال: «وكتاب مشكاة الأنوار كتاب ظريف مشتمل على أخبار غريبة».

وتوجد كتب أخرى تحمل نفس اسم هذا الكتاب ككتاب مشكاة الأنوار للكفعمي وكذلك كتاب مشكاة الأنوار للمجلسي وهما كتابان في الأدعية ولا ربط لهما بهذا الكتاب.

سبب التأليف

ذكر الشيخ الطَبرسي في مقدمة كتابه أنّ الذي دفعه لكتابة كتابه هذا، هو أنّ بعض المؤمنين قد طلبوا منه أن يؤلف هذا الكتاب، وذلك أنّ أباه قد شرع بتصنيف كتاب جامع للأحوال ومحاسن الأفعال ولكنّه قد وافته المنية قبل إتمامه لكتابه هذا الذا قرر الطبرسي متابعة ما بدأه والده:

«وبعد..فإن مولاي ووالدي الشيخ ..... لمّا جمع كتاب مكارم الأخلاق واستحسنه أهل الآفاق إبتدأ بتصنيف كتاب آخر جامع لستئر الأحوال.....ولم يتيسّر له إتمامه وأدركه حمامه.....ثمّ سألني جماعة من المؤمنين الراغبين في أعمال الخير أن أؤلف هذا الكتاب، فتقرّبت إلى الله عزّ وجل بتأليفه...».

هيكلية الكتاب

قام الطبرسي بتقسيم كتابه إلى عشرة أبواب وكل باب ينقسم إلى عدّة فصول، وقد ذكر هذه الأبواب والفصول بشكل مفصّل في مقدمة كتابه:

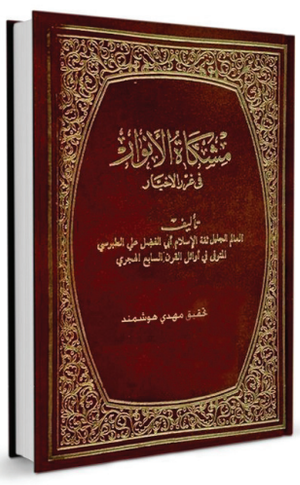

الباب الأول في الإيمان والإسلام ومايتعلّق بهما وفيه خمسة عشر فصلا مثل(التوحيد، الإخلاص، التوكل، الصبر....).

الباب الثاني في ذكر أوصاف الشيعة وأحوالهم وعلاماتهم وآدابهم وما يليق بهم، وفيه تسعة فصول.

الباب الثالث في محاسن الأفعال وشريف الخصال وما يناسبهما، وفيه ستّة وعشرون فصلامثل:(التوبة والعبادة والزهد..)

الباب الرابع في آداب المعاشرة مع الناس وما يتّصل بها وفيه اثنا عشر فصلا.

الباب الخامس في مكارم الأخلاق ونظائرها، وفيه سبعة فصول منها(التواضع، العفو....)

الباب السادس:في ذكر عيوب النفس ومجاهدتها، وصفة العقل والقلب وما يليق بهما، وفيه ثمانية فصول.

الباب السابع:في ذكر المصائب والشدائد والبلايا وما وعد الله عليها من الثواب وذكر الموت،وفيه تسعة فصول.

الباب الثامن: في ذكر مايجب على المؤمن من التسليم لأمر الله والرضا بقضائه.

الباب التاسع: في ذكر المواعظ.

الباب العاشر: في المتفرقات،وفيه سبعة فصول.

النسخ من الكتاب

توجد نسختان لكتاب مشكاة الأنوار إحداهما قديمة وهي النسخة الموجودة في مكتبة وزيري في يزد،

والأخرى تعود للقرن الحادي عشر الهجري، وتوجد في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي.

مصادر الكتاب

اعتمد مؤلف المشكاة في أكثر فصوله على كتاب المحاسن للبرقي، وكذلك نقل عن كتاب «روضة الواعظين» وكتاب «عيون الأخبار»، وكتاب «مجمع البيان» لجده الطبرسي.

شهداء الفضيله

الشهيد الشيخ فضل الله النوري رحمه الله

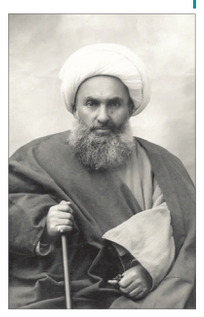

اسمه ونسبه

الشيخ فضل‌الله بن ملّا عباس النوري.

ولادته

ولد في الثاني من ذي الحجّة ١٢٥٩هـ بقرية لاشك من توابع كجور من محافظة مازندران الإيرانية.

دراسته

تلقّى رحمه الله الدراسات الأوّلية في مدينة نور في مازندران، ثمّ سافر إلى طهران وبعدها إلى النجف الأشرف لإكمال دراسته العليا، ولمّا سافر السيّد محمّد حسن الشيرازي إلى سامراء عام ١٢٩١هـ، ارتحل الشيخ النوري مصطحباً خاله الشيخ حسين النوري الطبرسي (مؤلّف مستدرك الوسائل)، ثمّ رجع عام ١٣٠٣هـ. إلى طهران واستقرّ بها.

من أساتذته

السيّد محمّد حسن الشيرازي المعروف بالشيرازي الكبير، الشيخ حبيب الله الرشتي، الشيخ راضي النجفي.

من تلامذته

الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، السيّد حسين الطباطبائي القمّي.

مقارعته للظالمين

كان رحمه الله عالماً كبيراً ومصلحاً عظيماً، كرّس حياته في مدارسة العلم وإصلاح المجتمع، وختمها بالشهادة، وجابه ضوضاء الباطل بلسانه وقلمه، ودفع التطاول على المقدّسات الإسلامية.

ولمّا وقف على خطورة الموقف شرع في إيقاظ الناس من الغفلة، وتنبيههم على المؤامرات التي تُحاك ضدّهم، واستمرّت مواجهته سنوات عديدة.

لقد كان لخطاباته وكتاباته إلى الزعماء والرؤساء تأثير بالغ في منع الأُمّة التصويت على المشروطية، ولم تجد الطغمة المعتدية على الشعب ودينه مناصاً من المؤامرة على الشيخ وقتله بصورة بشعة، فاختطفوه من داره بعد هجوم عنيف عليها، وحاكموه محاكمة صورية، وأصدر القاضي حكماً بإعدامه شنقاً.

من أقوال العلماء فيه

١. قال خاله الشيخ حسين النوري الطبرسي رحمه الله في مقدّمة شجرة طوبى: «عالم فاضل، ومجمع المحاسن والفواضل، مالك أزمة الفروع والأُصول، والآخذ بنواصي المعقول والمنقول، علم الأعلام والحبر القمقام، ابن أختنا المفخم الشيخ فضل الله النوري».

٢. قال أُستاذه الشيخ حبيب الله الرشتي رحمه الله: «وحضر لديّ ولدى الأساتيد العظام والأساطين الكرام شطراً وافياً من الزمان، ودهراً طويلاً كافياً من الأوان، فبلغ بحمد الله مناه، وصار عالماً ربّانياً، وعلماً حقّانياً، مجتهداً ماهراً، متبحّراً كاملاً، جامعاً للمعقول والمنقول».

٣. قال الشيخ عبد الحسين الأميني رحمه الله في شهداء الفضيلة: «قفل شيخنا المترجم له إلى طهران، ولم يبرح بها إماماً وقائداً روحياً، وزعيماً دينياً، يعظّم شعائر الله، وينشر مآثر دينه، ويرفع أعلام الحقّ ويبرز كلمة الحقيقة، حتّى حكمت بواعث العيث والفساد، بعدما جابه الإلحاد والمنكر زمناً طويلاً».

من مؤلّفاته

تذكرة الغافل وإرشاد الجاهل، حرمة الاستطراق إلى مكّة عن طريق جبل، الصحيفة المهدوية أو القائمية، رسالة قاعدة ضمان اليد، رسالة المشتق، درر التنظيم.

شهادته

استُشهد رحمه الله في الثالث عشر من رجب ١٣٢٧هـ بالعاصمة طهران، ودُفن في صحن حرم السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام بمدينة قم المقدّسة.

مقالة

كيف نقرأ كربلاء

الشيخ إبراهيم أحمد الميلاد

الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

منذ اللحظات الأولى لانفجارها الدموي المدوي دخلت كربلاء الملحمة الإلهية وجدانَ الأمة وتاريخَ الإنسانية ولا تزال كما كانت يوم ميلادها نهضة إصلاحية وحركة تغييرية لا تقف عند حدّ ولا تنثني أمام عقبة. فكيف ينبغي أن تفهمها الأمة والأجيال؟ وكيف نحول حقائقها إلى خطى ومواقف؟

قبل اقتحام تفاصيل الإجابة لا بأس بالتأكيد على جملة الحقائق التالية:

أ) تكليف إلهي

كربلاء تكليف إلهي قد تم امتثاله على النحو الأكمل وليست قدَراً إلهياً بالمعنى السلبي، وهو المعنى الذي ينبغي أن تحمل عليه الكلمة المشهورة للإمام الحسين عليه السلام: «شاء الله أن يراني قتيلاً.. وشاء الله أن يرى النساء سبايا»، فالمشيئة هنا بصفتها التشريعية لا التكوينية! والعصمة بمفهومها الصحيح لا تمنع من هذا الانصراف ولا الحمل عليه.

ب) الخيار النهائي

لم يكن ثمة في البين ما هو أفضل مما كانت عليه كربلاء كخيار «تكليف» في المواجهة ضد النفاق الأموي السفياني اليزيدي وهو ما يمكن فهمه من جهة المعرفة بمقام الإمام الحسين عليه السلام وما قد صرح به في أقواله من قبيل: «لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد»،وقوله عليه السلام: «ألا وإن الدَّعِي ابن الدَّعِي قد ركز بين اثنتين بين السِّلة والذلة، وهيهات منا الذلة» . فلم تبقَ إلا المواجهة، وصلح الإمام الحسن عليه السلام تكليفه، واختلاف الأئمة عليهم السلام في الأدوار لا الأهداف.

ج) الموقف الثابت

لم يُحدّث الإمام الحسين عليه السلام نفسه طرفة عين في تغيير ما هو عازم عليه من رفض البيعة «ليزيد» وطلب الإصلاح في «الأمة» مهما بلغت التضحيات وكان الثمن! وبقي على هذا الموقف حتى نال وسام الشهادة وكلّ ما يمكن أن ينقله بعضُ المؤرخين مما قد يخدش هذه الحقيقة فهو مردود مدفوع بحقائق العقيدة والتاريخ على حد سواء. ومن جملة كلامه عليه السلام الدال على هذه الحقيقة قوله: «كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء...»،وقوله لبني هاشم: «من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق لم يبلغ الفتح، والسلام» . فتدبر تنكشف لك الحقيقة!.

د) الفتح الكبير

إن كون كربلاء مأساة دامية لا يعني عدم انتصارها في وجه النفاق الأموي وما كانوا يتطلعون إليه من أهداف تاريخية مناوئة للرسالة الإسلامية، بل على العكس من ذلك تماماً؛ لأنه لولا الثبات على المواقف في وجه الطغيان اليزيدي وتقديم كلّ هذه التضحيات «القتل، والسبي» لما كان ثمة سبيل لتحقيق النصر المظفر وبلوغ ذلك الفتح الكبير! وقد بلغ النفاق الأموي من التضليل والتجهيل درجة فقدت فيها الأمة البصيرة في دينها والإرادة في عزيمتها «ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه..» كما وصفهم الإمام عليه السلام في التحريض على النهوض والإصلاح!. لقد انتصر بحق - كما يقال دائماً - في كربلاء الدمُ على السيف، والنورُ على الظلام.

هـ) منطق السماء

لقد عبرت كربلاء بكل ما تنطوي عليه من معاني الخير والفضيلة والسمو عن منطق السماء وفلسفة التاريخ بما ليس له مثيل في أيام الله مما كان عليه الأنبياء والأوصياء عليهم السلام من جهاد وتفاني وعطاء، ومن ثَم كانت بكل

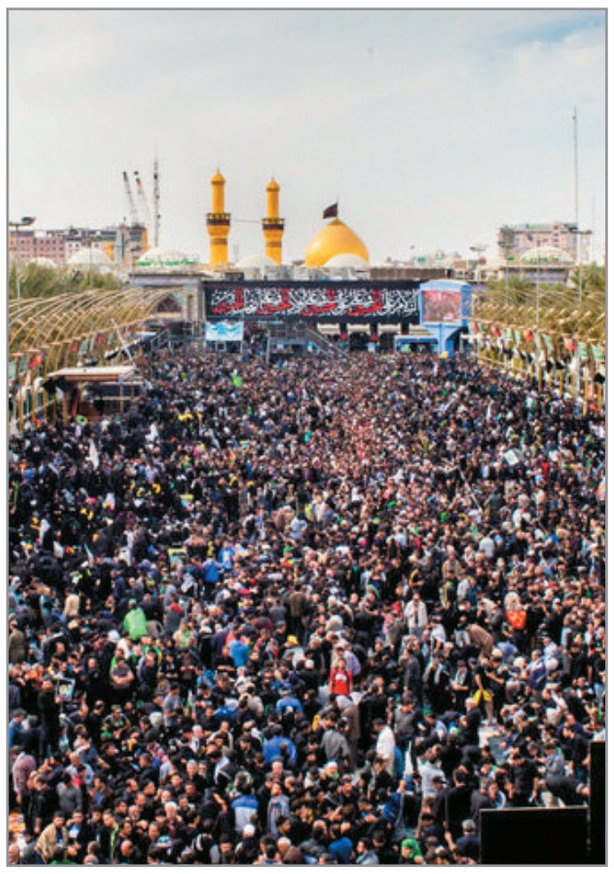

تفاصيلها ملحمة إلهية دامية وخالدة لا تزيدها منعطفات الأيام وكرُّ الليالي إلا توهجاً وتألقاً وحرارة في قلوب المؤمنين الأحرار، وهو ما يمكن أن نفهمه كأحد معاني كربلاء من مقولة الإمام الحسن عليه السلام لأخيه الإمام الحسين عليه السلام: «لا يوم كيومك يا أبا عبد الله» وهي بإطلاقها تثبت ما وصفناه بياناً وزيادة.

أقول: إذا اتضحت هذه الحقائق عن كربلاء الإمام الحسين عليه السلام وعاشوراء، فلنمض لما قد طرحناه من أسئلة في هذا الصدد.

هكذا تفهم كربلاء

على الرغم من أن واقعة كربلاء كحادثة تاريخية لم تتجاوز سويعات من الزمن -حيث التقى الجيشان على ما بينهما من تفاوت ملحوظ بشكل كبير في العدة والعدد! ودارت معركة دامية أسفرت عن مقتل الإمام الحسين عليه السلام وجميع من كان معه من الرجال ما عدا ابنه علي السجاد عليه السلام! ومن ثم سَبْي بنات الرسالة - إلا إنها -كربلاء- ذات تفاصيل كثيرة ربما يصعب الالتفات إلى الكثير منها وإحصاؤه.

وبالتالي، فإن ثمة مستويين وخطوتين على طريق فهمها كحادثة تاريخية من قبل كلّ المهتمين بها من أصحاب النظر والولاء:

المستوى الأول: استقصاء تفاصيلها كواقعة تاريخية ضمن زمانها ومكانها ومراحلها ورجالها وحوادثها وهو ما يمكن أن تتكفل به كتب المقاتل والتاريخ والسير- على أن تؤخذ تلك التفاصيل من الكتب المعتمدة والمصادر الموثوقة والمراجع الأصح لما سيكون لها بالغ الأثر بل أساسه في عملية التحليل والفهم-.

المستوى الثاني: كون منهجية التعاطي مع حقائق الواقعة وحوادثها التاريخية تلك مناسبةً من حيث النوعية والدقة والشمول والفاعلية مع هكذا نوعية من الحوادث البالغة الأهمية والعمق والتعقيد، وذلك باعتبار أن المنهجية المختارة والمعتمدة تشكل الإطار الذي تنصهر فيه معطيات تلك المعلومات الخام المنتقاة بكلّ تثبت وعناية.

وهذان المستويان ربما اجتمعا كما هو الحال في الدراسات التاريخية التحليلية، وربما افترقا كما هو حال الدراسات التاريخية المحضة، ولكن ما يهمنا على مستوى فهم الأمة لكربلاء الدم والشهادة هو أن تؤخذ الضوابط التالية في فهمها ليكون الفهم لها مستقيماً في مقدماته ونتائجه:

القيادة الربانية

إنها بقيادة شخصيةٍ ربانية معصومة مستقيمة بتأييد وتسديد من السماء في كلّ ما هي عليه من أقوال وأفعال «إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة» . وبالتالي، فهي منزَّهة عن كلّ ما من شأنه أن يبعث في النفوس شيئاً من الشك في صحة وحقانية ما تقوله أو تفعله، ولا يجوز بحال فهم شيء مما يتصل بنهضة كربلاء من دون الالتفات إلى هذه الحقيقة وأخذها بعين الاعتبار في التعاطي مع المعلومات الواصلة وتحليلها والاستنتاج منها في الحكم لكربلاء أو عليها.

العبقرية الإنسانية

وحتى لو لم نأخذ تلك الحقيقة الآنفة الذكر بعين الاعتبار في مجال محاولة فهم النهضة الحسينية، فإنه لا يمكن بحال تجاهل ما كانت تتمتع به شخصية الإمام عليه السلام من عبقرية وخبرة وفهم نادر لسنن الكون والحياة والمجتمع وتجارب كثيرة في الحرب والسلم «كان مع أبيه في حروبه» ومعرفة معادن الناس وما هم عليه من طبائع وميول وبالتالي نقاط قوة وضعف، وهو الأمر الذي يمكن أن يجعل الإمام عليه السلام في منتهى القدرة والدراية لما يجري حوله وما هو قادم عليه ويريد القيام به في مرحلة هي الأخطر في حياة الإسلام والأمة.

التخطيط الشامل

وعلى الرغم من هاتين الخصوصيتين البارزتين في شخصية الإمام عليه السلام وحياته الشريفة إلا أنه لم يبتعد في تشخيص الأوضاع واتخاذ المواقف مما كان يجري حوله وفي الأمة عما يسلكه أهل العقل والحِجى والحكمة بحسب العادة في مثل ما قد نوى الإمام عليه السلام القيام به والعمل على تنفيذه، وهي السمة التي يجدها كلّ أحد ممن قرأ سيرة نهضته المباركة منذ لحظتها الأولى وإلى آخر رمق من حياته الزاخرة بالبطولة مما يجعل المتتبع على يقين بأن الإمام عليه السلام لم يرتجل كلمة هنا ولا موقفاً هناك بل كلّ شيء قد خطط له بعقل كبير وحكمة بالغة وصبر وأناة ودقة وعناية، وهو ما كان له دور أساسي في أن يكون لنهضته هذا التأثير في النفوس وهذا الحجم اللامحدود من النجاح والخلود.

الفهم من الداخل

أن يكون الفهم لكل ما يتصل بالنهضة الحسينية من داخل مدرسة أهل البيت عليه السلام لا من خارجها كالمدارس المقابلة مهما كان لونها أو شكلها، وذلك غير أنه أوفق بالموضوعية والعلمية - باعتبار أن أهل البيت عليهم السلام أدرى بما فيه وأقدر على تفسير ما يقومون به ويتخذونه من أعمال ومواقف -، فإنه أدعى للاطمئنان بما يمكن الانتهاء إليه من معلومات ومعطيات ونتائج وأحكام وهو ما قد أكده أهل البيت عليهم السلام في غير موقف وموطن تأسيساً للمنهجية العلمية في مجال التعرف عليهم وعلى سيرتهم وحياتهم وفضائلهم ومناقبهم وخصائصهم «يا كميل، لا تأخذ إلا عنَّا تكن مِنَّا»، وأهل البيت عليهم السلام لم يألوا جهداً في التعريف بأنفسهم بشكل عام والتعريف بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة بشكل خاص.

دفائن الأسرار

لأكثر من سبب وحيثية ستبقى النهضة الحسينية مكتنفة بالحِكَم والمصالح والأسرار الكثيرة والمتنوعة التي سيتكفل الزمن والأجيال جيلاً بعد جيل بالكشف عنها والتعرف عليها وإبرازها للعلن وهكذا فهي أكبر من أن يُحاط بها في زمن أو جيل أو جهة، وبالتالي ينبغي مدارستها أبداً والتفقه في متون أقوالها وبنود أفعالها على طول الخط والالتجاء إليها كلما رمنا قبساً من نور أو سبيلاً للنجاة فإنها مصباح هدى وسفينة نجاة، وعليه ينبغي التوغل في حقائقها برفق وعدم التسرع في الحكم عليها أو لها من دون حجة واضحة أو بينة قاطعة من نص صريح أو قرائن جلية يركن إليها العقل وتسكن لها النفس ويطمئن بها القلب السليم وربما كان الجامع لأسباب ذلك كله أن كربلاء كانت لتبقى، فعطاؤها خالد، ومعين المعرفة بها لا ينضب أبداً.

هذا ما نراه أهم ما ينبغي الالتفات إليه من ضوابط لكلّ عملية فهم لأي جانب من جوانب هذه الملحمة الإلهية الخالدة.

المصدر: موقع مركز الإعلام الدولي

ملاحظة

ما الدليل على أن المرجعية الدينية امتداد للإمام المعصوم؟!

هل المرجعية الدينية (النيابة العامة) امتداد لمقام المعصوم عليه السلام؟ وإذا كان نعم، ما الدليل على ذلك؟ وما هي المصادر التي نحتج بها على الخصم؟

إن النيابة العامة للمراجع عندنا بمعنى أن الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف حدد وصفاً عاماً إذا توفر في شخص يصدق عليه أنه نائب عنه ومرجع تعود إليه الأمة لأخذ أحكام الدين والشريعة منه، وضرورة هذا المقام في عصر الغيبة الكبرى تفرضه الحقيقة التي يؤمن بها جميع المسلمين، وهي أن الشريعة والدين لا يموت بموت المعصوم عليه السلام ولا يغيب بغيبته عن الناس، وهذا معنى ما ورد في الحديث الصحيح عن الإمام الصادق عليه السلام: حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجيء غيره. [الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص٥٨]، ومن هنا لا يناقش أحد من المسلمين في أن التكاليف الشرعية والالتزام بها ضرورة دينية على جميع الناس وأن الحساب يوم القيامة وترتب الثواب والعقاب مبني على الالتزام أو عدم الالتزام بذلك، ولا يُعذر أحد بتضييع تلك المسؤولية، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير معنى قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ قوله: إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدي أكنت عالماً؟ فإن قال: نعم، قال له: أفلا عملت بما علمت؟ وإن قال: كنت جاهلاً، قال له: أفلا تعلمت حتى تعمل؟ فيخصمه، وذلك الحجة البالغة. [الأمالي للشيخ المفيد: ص٢٢٨]

وللخلاص من عهدة هذه التكاليف وإبراء المكلف ذمته أمام الله تعالى، أمامه طريقان:

إمّا أن يكون عالماً بنفسه (كالمجتهد أو المحتاط) ويعرف ما يجب عليه وما يحرم عليه.

وإمّا أن يرجع إلى أهل الاختصاص وأهل الخبرة من علماء الدين ممن قضوا أعمارهم وأجهدوا أنفسهم في تحصيل ذلك، ليأخذ عنهم العلم والمعرفة، ولما كان الأمر الأول يتطلب جهوداً خاصة وتفرغاً تاماً للدرس والتحصيل قد يمتد لعشرات السنين، وهو بطبيعة الحال أمر لا يُتاح لكل أحد من الناس ويعسر عليهم الوصول إليه بسبب انشغالهم بطلب المعاش وكسب الرزق، فكان من الحكمة التي يفرضها الواقع الاجتماعي وتسالم العقلاء أن تختص فئة معينة بذلك دون الناس جميعاً، وقد أقر القرآن الكريم هذه الحقيقة وأمر بها كما في قوله تعالى: ﴿وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وهذه الآيات وغيرها إنما تبتني على ذلك الأصل العقلائي العام والذي مؤداه رجوع غير العالم إلى العالم وهي حقيقة ماثلة نراها في جميع مجالات الحياة، وعليها ابتنت الحضارة الإنسانية التي أقرها الشارع المقدس وأمضاها، فالمريض يرجع إلى الطبيب، والتلميذ يتعلم من أستاذه، وهكذا كانت سيرة شيعة أهل البيت عليهم السلام مستقرة وثابتة حتى في زمن حضور المعصومين عليهم السلام في رجوعهم إلى الفقهاء والعلماء من أصحابهم، وهذه السيرة إنما أخذوها والتزموا بها بناء على توصيات الأئمة عليهم السلام لشيعتهم، فقد روى المفضل بن عمر: أن أبا عبد الله عليه السلام قال للفيض بن المختار في حديث: فإذا أردت حديثنا فعليك بهذا الجالس. وأومأ إلى رجل من أصحابه، فسألت أصحابنا عنه، فقالوا: زرارة بن أعين. [رجال الكشي لمحمد بن عمر الكشي: ج١، ص٣٤٧].

ونفس هذا المعنى رواه عبد العزيز بن المهتدي قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت: إني لا ألقاك في كل وقت، فعمن آخذ معالم ديني؟ فقال: خذ عن يونس بن عبد الرحمن. [رجال الكشي لمحمد بن عمر الكشي: ج٢، ص٧٧٩].

وكذلك ما رواه أحمد بن إسحاق عن الإمام الهادي عليه السلام قال: سألته وقلت: مَن أعامل؟ وعمن آخذ؟ وقول من أقبل؟ فقال: العمري ثقتي، فما أدى إليك عني فعني يؤدي، وما قال لك عنّي فعنّي يقول، فاسمع له وأطع؛ فإنه الثقة المأمون. قال: وسألت الإمام العسكري عليه السلام عن مثل ذلك فقال: العمري وابنه ثقتان، فما أديا إليك عني فعني يؤديان، وما قالا لك فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما، فإنهما الثقتان المأمونان. [الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص٣٣٠].

وكذلك ما رواه إسماعيل بن الفضل الهاشمي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المتعة؟ فقال: القَ عبد الملك بن جريح، فسله عنها، فإن عنده منها علماً. [الكافي للشيخ الكليني: ج٥، ص٤٥١]، والملاحظ في الرواية الأخيرة أن سبب إرجاع الإمام الصادق عليه السلام إلى عبد الملك بن جريح لا لشيء إلّا لتوفره على صفة العلم والفقاهة في تلك المسألة التي سأل عنها السائل.

ولما كانت الروايات السابقة جاءت كلها في سياق النيابة الخاصة والتي هي بمعنى إرجاع المعصومين عليهم السلام شيعتهم إلى أشخاص معينين وهي نفس الظاهرة التي اعتمدها الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في تواصله مع الشيعة أيام غيبته الصغرى من خلال السفراء الأربعة، إذ كانت الأجوبة والاستفتاءات والتي عُرِفت في مصطلح الدراية (بالتوقيعات الشريفة) على يد هؤلاء النواب والناطقين باسمه الشريف، وهم: عثمان بن سعيد العمري، ثمّ ولده محمّد، ثمّ الحسين بن روح النوبختي، ثمّ علي بن محمّد السمري، وبموت السمري انقطعت النيابة الخاصّة بالتوقيع الصادر عن الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، يَا عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ السَّمُرِيَّ أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَ إِخْوَانِكَ فِيكَ، فَإِنَّكَ مَيِّتٌ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سِتَّةِ أيام، فَاجْمعْ أَمْرَكَ وَلَا تُوصِ إِلى أحد يَقُومَ مَقَامَكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ، فَقَدْ وَقَعَتِ الغَيْبَةُ الثانِيَةُ، فَلَا ظُهُورَ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللهِ عز وجل، وَذَلِكَ بَعْدَ طُولِ الأَمَدِ وَقَسْوَةِ الْقُلُوبِ وَامْتِلَاءِ الأرض جَوْراً، وَسَيَأْتِي شِيعَتِي مَنْ يَدَّعِي المُشَاهَدَةَ، أَلَا فَمَن ادَّعَى المُشَاهَدَةَ قَبْلَ خُرُوجِ السُّفْيَانِيِّ وَالصَّيْحَةِ فَهُوَ كَاذِبٌ مُفْتَرٍ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ. [الغيبة للشيخ الطوسي: ص٣٩٥]

ولا يخفى أن الحكمة من النيابة الخاصة والغيبة الصغرى التي اعتمدها الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف إنما كانت كمقدمة تمهد وتوطئ لغيبته الكبرى والتي سوف ينقطع فيها الاتصال المباشر بالإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، وفي خلال ذلك تربى الشيعة عملياً واستوعبوا فكرة الغيبة التامة، ولم يؤثر ذلك سلباً في بقاء المذهب وديمومته، وفي خلال هذه الفترة كان الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يُعدّ شيعته ويهيئهم للانتقال من مرحلة النيابة الخاصة إلى مرحلة النيابة العامة، وهذا في واقع الأمر كان من مصاديق لطف الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وعنايته بشيعته، فلولا ذلك لعانى المؤمنون من الصدمة والحيرة التي تؤدي إلى التيه والضياع التام، ويمكننا بوضوح أن نرصد عملية الإعداد والتحضير هذه من خلال الروايات والتوقيعات التي صدرت من الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف أو حتى من خلال ما صدر من آبائه الطاهرين، فقد جاء في التوقيع الشريف: وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم. [الغيبة للشيخ الطوسي: ص٢٩١]

وكذلك ما ورد عنه عجل الله تعالى فرجه الشريف: فإنّه لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يؤدّيه عنّا ثقاتنا. [رجال الكشي لمحمد بن عمر الكشي: ج٢، ص٨١٦].

وبالجمع بين الروايتين نفهم أن ارتفاع العذر عن تأدية التكاليف الشرعية وانعدامه في حق الموالين والشيعة إنما لوجود من يحتج بهم الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف على شيعته، وهم الفقهاء والمراجع الذين ينيبون عن الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في توضيح معالم الدين وأحكامه، ولولاهم لضاع الدين واندثر، وهو المعنى الذي أكده أيضاً الإمام الهادي عليه السلام في استشرافه لما ستكون عليه الأمور في زمن الغيبة الكبرى بقوله: لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلّا ارتد عن دين الله، ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل. [الاحتجاج للشيخ الطبرسي: ج٢، ص٢٦٠]

وهو ذات المعنى المروي عن الأئمة المتقدمين، فقد روى الحارث بن المغيرة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يكون فترة لا يعرف المسلمون فيها إمامهم؟ فقال: يقال ذلك. قلت: فكيف نصنع؟ قال: إذا كان ذلك فتمسكوا بالأمر الأول حتى يبين لكم الآخر. ولا يخفى أن التمسك بالأمر الأول لا يتعدى حقيقة الالتزام بما صدر عن نفس الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في إيجاب الرجوع إلى العلماء والفقهاء الذين جعلهم الحجة والطريق بينه وبين شيعته، وهو الأمر الذي استمروا عليه لأكثر من ألف عام.

المصدر: مركز الإمام المهدي للدراسات التخصصية

نرحب بآراء القراء الأعزاء
عبر البريد الالكتروني التالي
Alafagh1444
@gmail.com

مقال

فلسفة الشهادة الحسينية

د. علي أبو الخير

جاء استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، امتدادًا لخط الإمامة، فالإمام الحسين عليه السلام كان يدافع عن الوجود الإسلامي ذاته، كان عليه السلام يريد العودة إلى خط النبي وخط أمير المؤمنين، أن يسير بسيرة جده وأبيه، أي كان خروجه دفاعًا عن قيم الإسلام التي كادت تضيع، وأن دماءه المراقة على أرض كربلاء جعلت المسلمين ينظرون فيجدون أن الخلافة جاءت بالدم والغلبة والقهر، فكسر الإمام الحسين عليه السلام القداسة المزعومة لمنصب الخلافة، ولولا القداسة الوهمية لما وصل يزيد بن معاوية لمنصب الخلافة أبدًا، فالمأساوية المروعة لواقعة كربلاء عنصر أساسي في تحقيق مصلحة الإسلام العليا. فقد كان للصورة التي تميّزت بها واقعة "الطف" الدامية في كل وقائعها ومفرداتها، دور مرسوم وأثر بليغ، شاءه الله سبحانه لتتحقق للإمام الحسين عليه السلام، أهدافه الإلهية من خلال نهضته الكبرى، فقد كان الإمام الحسين عليه السلام يطلب بيعة شرعية رغم إمامته المعصومة، يطلب بيعة أكثرية وليست بيعة إجماع تحت قهر السيوف، تمامًا مثلما طلب أمير المؤمنين علي عليه السلام.

إن المتصفّح لكتب التاريخ التي تسرد تفاصيل واقعة الطف الأليمة سيهتز ضميره ويعتريه الحزن والألم الشديد، بل تجري دمعته مع كل مفردة من مفردات الواقعة المأساوية، منذ حركة الإمام الحسين عليه السلام بأهل بيته وأصحابه من مكّة المكرمة، حتى استشهاده على أرض كربلاء المقدسة، وسبي نسائه وأطفاله فيما بعد، وفي الوقت نفسه يستعر غضبًا وغيظًا على الطاغيتين "يزيد وابن زياد" وعمّالهما من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، لشدة قسوتهم وظلمهم، الذي لا حدّ له في طريقة مواجهة الإمام عليه السلام، وقتله وقتل أهل بيته وأصحابه وسبي نساء عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأطفالهم. وكل هذا جعل المسلمين، ينظرون للإمام الحسين عليه السلام نظرة تقديس، ربما كانت نظرة روحية، ولكنها في النهاية نظرة إيمانية، فلقد فعلت هذه المأساة فعلها في تأجيج عواطف المسلمين، خصوصًا أهل الكوفة وغيرها في حواضر العراق والحجاز، وخلقت الأرضية الواسعة لأيّة مبادرة تعبوية لمواجهة الخلافة الأموية، وكسر هيبتها، وفضح تستّرها بستار الخلافة الإسلامية، ولهذا نجد أن مرحلة المواجهة والجهاد العنيد لهذا الخط المنحرف، قد بدأت منذ أن بدأت النهضة الحسينية الكبرى، واشتدت بعد استشهاده عليه السلام، وكلها تنادي بشعار الرضا من آل محمد، وهو شعار الإمام الحسين عليه السلام الشهير، الذي أطلقه في نهضته حيث قال: "رضا الله رضانا أهل البيت". وهو الشعار الدائم لأئمة أهل البيت عليهم السلام، الرضا الإلهي لخطهم السماوي، هذا بالإضافة للنداء الحسيني الشهير "الموت بعزة خير من الحياة بذلة"، وهو النداء الثوري المستمر حتى اليوم.

كان دور الإمام الحسين عليه السلام حماية الإسلام من العبث السلطاني، فقد قال: "من لحق بنا استُشهد ومن تخلّف لم يدرك الفتح"، فالفتح الذي رآه سيد الشهداء هو حماية الدين من الانحراف، لأنه لم يخرج أشرًا أو بطرًا أو طالب ملك، ومن هذا المنظور كانت فلسفة الشهادة.

ولم يقف الأثر التعبوي للنهضة الحسينية عند حدٍّ مقطعي من مسيرة الأمّة، بل تواصل بنمو نوعي وكمّي مطّرد عبر العصور، حتى إننا نستطيع القول: إن من أبرز الأدلّة الواقعية على الأثر الدائم لهذه النهضة الخالدة في أعماق المسلمين، وتحقيقها للهدف الشامل في تقويم المصلحة الإسلامية العليا على مستوى الرسالة والأمّة جمعاء، هو هذا الإجماع المطلق في جميع العصور على تأييدها والتفاعل مع معطياتها، والإدانة المطلقة ليزيد بن معاوية موقفًا ومنهجًا، فهذه كتب الحديث والتاريخ والسِيَر لكل المذاهب والفِرَق الإسلامية تجمع على ذلك، وهذه كتب المحدّثين من إسلاميّين وغير إسلاميّين، ممن تناول قيام الإمام الحسين عليه السلام، ونهضته بالدرس والتحليل، تُجمع على ذلك أيضًا.

لم تقتصر قضية الإمام الحسين عليه السلام على المسلمين فقط، بل وصلت إلى كل العقول النيرة التي رأت في ثورة الإمام الحسين عليه السلام ومبادئها قدوة تستحق الإجلال على مدى العصور، فالرسالة المحمدية ليست موجهة إلى المسلمين دون غيرهم، وكذلك القضية التي حملها الإمام الحسين بن علي عليه السلام، فالظلم قد يوجد في كل بقعة من الأرض، والمتاجرة بحياة البشر قد يقوم بها أي إنسان بغض النظر عن دينه وثقافته، وليس أجمل من شخص عاش بعيدًا عن بيئة الإسلام وقرأ عن الحسين ليرى نفسه ذائبًا في سيرته.

ثورة الإمام الحسين في الفكر الإنساني

جاء على لسان الزعيم الهندي المعروف المهاتما غاندي قوله: "لقد طالعت بدقة حياة الإمام الحسين، شهيد الإسلام الكبير، ودققت النظر في صفحات كربلاء واتضح لي أن الهند إذا أرادت إحراز النصر، فلا بدّ لها من اقتفاء سيرة الحسين". كما قال غاندي: "تعلمت من الحسين كيف أكون مظلومًا فانتصر".

والكاتب الاسكتلندي "توماس كارلايل" تعلم من الإمام الحسين كيفية الإيمان بالله تعالى حين قال: "أسمى درس نتعلمه من مأساة كربلاء هو أن الحسين وأنصاره كان لهم إيمان راسخ بالله... والذي أثار دهشتي هو انتصار الحسين رغم قلة الفئة التي كانت معه". بينما يعبّر المستشرق الإنكليزي "إدوارد براون" عن تأثره العميق بنبل قضية الإمام الحسين وطهارتها فيقول: "هل ثمة قلب لا يغشاه الحزن والألم حين يسمع حديثًا عن كربلاء؟ حتى غير المسلمين لا يسعهم إنكار طهارة الروح التي وقعت هذه المعركة في ظلها".

وتطلق المؤرخة الإنكليزية "فريا ستارك" العنان لمشاعرها عندما قرأت عن الحسين حتى تقول: "إن مأساة الحسين تتغلغل في كل شيء حتى تصل إلى الأسس، وهي من القصص القليلة التي لا أستطيع قراءتها دون أن أبكي".

وقال الشاعر الألماني "غوته": "إن مأساة الحسين هي مأساة للضمير الإنساني كله... فالحسين جسد الضمير بدفاعه عن القيم الإنسانية الرفيعة".

أما الكاتب والأديب الأيرلندي "جورج برنارد شو" فقد عبّر عن إجلاله لشخص الإمام الحسين بالقول: "ما من رجل متنور، إلا وعليه الوقوف وقفة إجلال واحترام لذلك الزعيم الفذ حفيد الإسلام، الذي وقف تلك الوقفة الشامخة أمام حفنة من الأقزام الذين روعوا واضطهدوا أبناء شعوبهم".

وكما قال الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه "أبو الشهداء الحسين بن علي": "كان الصراع بين الأريحية والمنفعة"، أو بمفهومنا المعاصر للإنسان، وأنّ علمنتها يعني التخلي عن جزء وافر من الدين، فضلاً عن وفور الأدلة الروائية والتاريخية على أن السلوك السياسي للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام يؤسس لمشروعية سلوك أتباعهم ذات المسلك السياسي، وتوفير الحجية له.

بين يدي الكتاب

يشكّل البحث في ولاية الفقيه، النظرية السياسية المستجدة على الساحة الفكرية والسياسية العملانية، أمراً ضرورياً ومطلباً بحثيا وعلمياً دائماً. إذ أن هذه النظرية لم تبقَ في رفوف المكتبات، وبين يدي الباحثين فقط، بل كان لها أن تبصر النور في أكثر محطات التاريخ تعقيداً وحيويةً وتأثيراً في المستقبل، أي إنشاء الجمهورية الاسلامية بعد قيام الثورة الاسلامية في ايران سنة ١٩٧٩ على يدي الإمام الخميني قدس سره. إذ حرّكت هذه النظرية عقول الباحثين داخل مدرسة أتباع أهل البيت عليهم السلام، ووجود تيار فقهي تقليدي ينحاز إلى نوع من التقية السياسية اللاسلطوية، في قبال التيار السلطوي. هذا الحراك الفكري والاجتهادي المستجدّ، في ظلّ المزيد من العولمة السياسية وتشكّل المنظومة السياسية العالمية وفق بنىً أيديولوجية وفلسفية وقيمية أكثر حدة ووضوحا وصرامةً، ومزيد من الصراع على الموارد الطبيعية والبشرية في عالمٍ آخذٍ في التهالك أكثر فأكثر في هوةِ النزاعات الدولية، يستدعي تحرّك الباحثين في الشأن السياسي والنظريات السياسية من أجل توسيع نطاق مشروعية هذا الطرح، والدعوة إليه، وتوسيع تطبيقاته المتنوعة في الحياة الإنسانية.

قراءة في كتاب

ولاية الفقيه، جدلية العلاقة بين الدين والسياسة

تشكل الكتابة في الفكر السياسي في الإسلام، والنظريات السياسية المتعلقة بطبيعة الحكم وإدارة المجتمع والبنى المعرفية المشكّلة للفضاء والحياة السياسية للمجتمع الاسلامي، واحدة من القضايا المعرفية والفكرية المعقدة والدقيقة جداً.

إن هذا التعقيد ناشئ من أمرين:

الأمر الأول، طبيعة الواقعة السياسية المعقدة على مستوى العالم والتجارب الانسانية التاريخانية أو المرتبطة بخط الوحي، وهذا ما تظهره البحوث الانثروبولوجية المعمّقة التي قام بها جورج بالانديه (خصوصا في كتابه الانثروبولوجيا السياسية،) في حفره تحت جذور الواقعة السياسية عبر التاريخ، ليظهر جانباً من شبكة العلاقات المكثّفة التي تشتغل في ما وراء الفعل السياسي، كالدين، والقرابة، وطقوس العبور، والعلاقات الاقتصادية، واللغة والفن، فضلاً عن الخلفية الثقافية الكامنة وراء كل فعل سياسي.

والأمر الثاني، وهو متعلق بخصوصية التاريخ الاسلامي، يكتنف اختلافات عقدية وفقهية ومنظومية كبيرة بين المذاهب الدينية التي تنتمي إليه، وتختلف في فهمها لتاريخ الإسلام، والسلوك التقعيدي المؤسس للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لكافة أركان الدين ومدى حكومتهِ على المجتمع الإنساني وطبيعة هذه الحكومة.

اتجاهات في السلوك السياسي في الإسلام

لذلك، نجدُ في تاريخ الفقه والفكر السياسي في الاسلام، مذاهب شتى تنبئ في اختلافها وتنوعها عن حيرةِ العقل المسلم في تفسير ما يريده الإسلام من أتباعه في ما يخص سلوكهم السياسي.

بينَ اتجاهٍ لا سلطوي -قديمٍ/أعيدَ إحياؤه في كل حينٍ، حتى يومنا هذا- يرفضُ كونَ الدين الإسلامي له امتداد في الحكم السياسي، وهو يقتصر في تعاطيه مع الإنسان على البعد القيمي والتنظيمي لشأنه الفردي، فيما يترك قضية الحكم مفتوحة على احتمالات شتى، باعتبارِ أنّ السيادة الأخيرة ستكون للقيم والفضائل، فلم يتحمّل الدين مغبة الحكم؟ وهذا ما شهدناه في تيارات متنوعة من الخوارج، إلى المتصوفة، ثم اتجاهاتٍ حداثوية مفرطة في المرحلة المعاصرة تفكك بين الدين والسياسة.

وبين اتجاهٍ سلطوي، يعتقد بضرورة تولّي الدين الاسلامي الشأن السياسي للمجتمع، لاعتبارات شتى منها سلوك وسيرة النبي الأعظم في تحمّله القيادة السياسية للمجتمع المسلم، وصدور سلوكيات سياسية تنظيمية واضحة منه باتجاه داخل المجتمع الاسلامي حينها في فض النزاعات وفرض الضرائب وقودِ الجناة وتحسين البنية المادية للمجتمع والتصرف في الخراج وإعداد الجيش، ومنها السلوك السياسي الدبلماسي في العلاقة مع الآخر خارج المجتمع الإسلامي، الكافر والمشرك والكتابي، العربي وغيره. وهذا الاتجاه يحتوي بين جدرانه تيارات مختلفة ومتنوعة جداً على امتداد التاريخ الاسلامي، كما يذكر شيئا منها إبراهيم بيضون في كتابه "الاتجاهات السياسية في الإسلام الأول"، من حركة الخلفاء الثلاثة بعد وفاة النبي الاعظم، والحركة السياسية الفعالة للإمام علي عليه السلام الذي وضع أسساً فارقة لمدرسته السياسية عما سبقه ولحقه من الاتجاهات السياسية، إلى التيار الأموي والعباسي وبقية الدويلات والحركات والتيارات السلطوية التي نبتت في هيكل الأمة الإسلامية، واكتنفها على مدار التاريخ شيء كثير من الافراط والتفريط في الاقتراب من النصوص المؤسسة للدين الإسلامي، وتأويلات مشوّهة لها، فضلاً عن السلوك السياسي المتضارب بين اتجاه وآخر.

طرحُ ولاية الفقه

وفي هذا السياق، نجد أن طرح نظرية ولاية الفقيه، بعد مرور قرون متطاولة من الاتحاد العضوي بالواقعة السياسية عند الإمام علي وأبنائه الإمام الحسن والحسين عليهم السلام وابنه محمد بن الحنفية، وعدد من أحفاده كزيد بن علي ويحيى بن زيد، وافتراق حذر من قبل بقية أئمة أهل البيت عليهم السلام، في تعايش على حدّ الموت مع السلطة السياسية والزمنية في كل حينٍ، ثم افتراق الفقهاء المؤسسين لمذهب التشيع بعد غيبة الامام المهدي في مرحلتي الغياب الصغرى والكبرى، في اجتهادهم حول ما ينبغي فعله؟ التقية المتمادية وهجران الشأن السياسي وتركه في يد من يأتي من الحكام بانتظار عودة الإمام المهدي، في تناظر كبير مع المذاهب اللاسلطوية التي حوّلت التدين من واقعة مجتمعية إلى سلوك فردي وشبه فردي أثّر كثيرا في بنية الفقه الإسلامي والنظام الأخلاقي والقيمي على مدى التاريخ. أو الاقتراب من السلطة والسياسية متى سمح الظرف، كما فعل بعض فقهاء بني بويه والدولة الحمدانية والفاطمية والصفوية؟ أو التقدم خطوة أكبر من ذلك، والإمساك بالحكم السياسي والتنظير له على أنه واحدة من الوقائع والتمظهرات الأساسي للدين الإسلامي، تماماً كالذي نظّر له ودعا إليه الإمام الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية حيث قام بالاستدلال، بأكثر من دليل عقلي واجتهادي، على بداهة كون السياسة شأنا دينياً متأصلا في الحياة الدينية

يجيء كتاب "ولاية الفقيه، جدلية العلاقة بين الدين والسياسة" للباحث الدكتور عبد الله قصير، في نوعٍ من التفكّر والتأمل في نظرية ولاية الفقيه، بادئاً من جذورها العقدية من باب "الولاية" كمبدأ إيماني مؤسس لبقية الظواهر والمبادئ داخل المعتقد الديني الإسلامي. ثم معرّجاً على مجموعة من المواصفات التي تشكّل أبعاد الولاية العقائدية والسياسية، وفلسفتها، ومواصفات ولي الفقيه ودوره. ومن جهة أخرى، يشرّح الكاتب بشكل موجز ومتناسق المراحل التاريخية التي يتصوّرها الكاتب عن مناشئ فكرة الولاية من النزاع على الخلافة بعد الرسول في أزمة السقيفة المؤسسة لمدارس سياسية اجتهادية متباينة، بين مرتكزات الالتزام بالنص والاجتهاد في إطاره، والاجتهاد مقابل النص. لربّما، كانَ احتياط فقهاء الشيعة المتقدمين في زمن الغيبتين، ناشئا من الخوف من كون الاجتهاد في شأن الولاية السياسية كمنصب سياسي للفقيه يشكّل انزياحاً ما عن النص واجتهاداً في قباله -وهو الأمر الذي أسّس لعدم الوقوع فيه كلّ الأئمة عليهم - ، ولذلك وجدوا الوقوف عند التقيةِ كسلوكٍ سياسيٍّ منصوصٍ عليهِ في الروايات، أحوط للفرد ولجماعة الشيعة من الالتزام بتجييرٍ اجتهاديٍّ الصلاحيات السياسية والقيادية المختصة بالامام للفقيه.

يوضح المسار التاريخي لتطور مسار الولاية في الاسلام، وهو في الحقيقة اصطلاحٌ جيد جداً من الباحث وفي موقعه في توصيف التبدلات البنيوية للعقل الاجتهادي الشيعي فيما يتعلق بالشأن السياسي للجماعة، كيف ظهرت مبررات طرح ولاية الفقيه من قبل الإمام الخميني قدس سره خصوصا بعد ثورة المشروطة والمستبدة التي تبدّت كنزاعٍ داخلَ العقل الشيعي قبل أن تكون مظهراً سياسياً بسيطاً لخلافٍ سياسي بين جماعة الشيعة.

ثم يقوم الباحث، بتقديم محاولة في التفكيك وإعادة الربط بين ما هو ديني، وما هو سياسي، في علاقة المؤسسة الدينية، بالسلطة، والفتوى الشرعية والحكم السياسي باعتباره نوعَ تطبيق لحكم شرعي أو مجموعة من الأحكام الشرعي التكليفية أو التدبيرية للمجتمع المسلك، كي يخلص في نهاية البحث إلى القضية التي شكّلتْ خاتمة طبيعية ومتوقّعة للمسار الثوري للإمام الخميني في مسار تطبيقه لولاية الفقيه على المجتمع، وهي قضية زمكنة النص الديني، وإحداث الموافقة بين المتغير والثابت في النص، وذلك نتيجة شائبة مزمنة من الجمود في الفقه الشيعي لازمته طوال قرون لانعزاله عن الحكم السياسي، واكتفائه بالأحكام الفردية والحسبية الضيقة فقط. هذه القضية الهامة، ستكون مدار نقاش وبحث طويل داخل أروقة الحوزات والمراكز البحثية واهتمامات الباحثين في فضاء نظرية ولاية الفقيه (أو ربما كذلك مخالفوها من الاتجاه التقليدي)، في محاولة البحث الجاد عن تطوير لأدلتها وبراهينها، وكذلك توسعة تطبيقاتها في منظومة العلاقات الدولية، والحقوقية، والاقتصادية، والقيمية، وغير ذلك حيثما ينبغي لولي الفقيه أن يبرزَ "سلطته" و"تدخّله" ويشرعن له حضوره كممثل عن الدين في تطبيقه له.

هذا الكتاب في فصوله الثلاثة والخاتمة، للباحث الدكتور عبد الله قصير، محاولة بحثية موجّهة للباحثين الشباب، والشباب الجامعي، والمهتمين بالتعرف على فضاء نظرية ولاية الفقيه، صدر حديثاً في نهاية عام ٢٠٢٢ عن دار المعارف الحكمية/بيروت.

المصدر: مركز الأبحاث والدراسات التربوية

مقالة/ الجزء الثانى والأخير

الحوار القرآني عند الإمام الحسين عليه السلام دراسة تحليلية

الشيخ حيدر العريضي – باحث وكاتب إسلامي من العراق

إنّ الحوار الحسيني انطلق من وحي الفطرة السليمة مستدلاً على ضرورة اتّباع مَن أراد الله تعالى أن يكون خليفةً وحاكماً بين عباده باستحقاقٍ بعد توافر شروط الكمال والتنزّه عن كلّ رجسٍ يمنعه من تحقيق العدل الإلهي، ولا يستحق هذا المنصب إلّا مَن شَهِدَ له القرآن الكريم بعصمته وكمال أخلاقه، وقد أمر الله تعالى عباده بلزوم طاعة نبيّه الأكرم وأهل بيته من الأئمّة المعصومين؛ لتحقيق الغاية من إيجاد الخلق وتأمين سعادتهم في دار الدنيا وضمان فوزهم في دار الآخرة بالنعيم المقيم.

المبحث الثالث: حواره عليه السلام القرآني في إثبات شرعيّة ثورته

واجهَ إعلانَ الثورةِ الحسينيةِ ـ من المدينة المنورة إلى مكّة المُكرّمة ـ موجةُ اعتراضٍ بعض المحبّين إشفاقاً، وأصوات انتقاد المغرضين من الأُمويين حقداً، وما كان من الإمام الحسين عليه السلام إلّا أن يكون جوابه متناسباً مع معطيات كلّ معترضٍ بالمداراة للمتعاطفين، ومُفحِماً لكلّ مناوئ بالحُجّة الدامغة.

لقد توجهّت بعض الاعتراضات على نهضة الإمام الحسين عليه السلام بتُهمةِ التمرّد وشقّ عصا وحدة المسلمين، وأنّها مقدمةٌ لإحداث فتنةٍ عظمى. فكان جوابه عليه السلام في ردّ هذه الشبهة ـ مستمدّاً من دستور الأُمّة وثقلها الأوّل ـ بحوارٍ مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، فبيانه عليه السلام الثوري هو أحسن القول الداعي إلى طاعة الله تعالى ونبذ طاعة الحاكم الأُمويّ، وجهاده في رفض بيعة الطاغية يزيد المشهور بفسقه هو من أفضل الأعمال الصالحة التي ندب إليها الشارع المُقدّس في التقرّب إلى الله تعالى.

إنّ المتأمّل في جواب الإمام الحسين عليه السلام على رسالة الأشدق ـ الذي وصمه فيها بتُهمة الشقاق ودعاه إلى اللجوء إليه تحت وصايته ـ يجدُ فيها مدى صلابته عليه السلام وتنمّره في ذات الله تعالى، وهي سرّ شجاعته في تحدّي الإرهاب الأُمويّ، فقد كان ردّه عليه السلام بليغاً في نصّه القائل: (أمّا بعدُ، فإنّه لم يشاقق الله ورسوله مَن دعا إلى الله عزّ وجلّ وعمل صالحاً وقال: إنّني من المسلمين، وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة، فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة مَن لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافةً في الدنيا توجب لنا أمانة يوم القيامة).

فآية الدعوة تنطوي على مضامين كثيرة استعملها الإمام الحسين عليه السلام في الردّ على قول المرجف والمتخاذل، فهذه المقولة القرآنيّة إنّما صدرت من الله (جلّ وعلا) لتكملة الثناء على المؤمنين ﴿الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾، ولتوجيه استحقاقهم تلك المعاملة الشريفة؛ وعليه فصدا هذه المقولة يقمع الظالمين في قصورهم، أي: كيف لا يكونون بتلك المثابة وقد قالوا أحسن القول وعملوا أحسن العمل.

وذكر هذا الثناء عليهم بحسن قولهم عقب ذكر مذمّة المشركين ووعيدهم على سوء قولهم، مشعر ـ لا محالة ـ أنّ بين الفريقين بوناً بعيداً، طرفاه الحُسنُ المصرّح به، وما يُقابله مفهوم السيّئ، أي: فلا يستوي الذين دعوا للمعروف وعملوا صالح العمل مع الذين أنكروا الحقّ وعملوا أسوأ العمل، كما لا تستوي الحسنة ولا السيئة، والمعنى: أنّ كفّة الداعين للإصلاح راجحة ويلزم قبولها؛ إذ لا أحسن منهم قولاً وعملاً، و(مَن) هنا استفهام نفي، أي: لا أحد أحسن قولاً من دعوة الطاعة لله تعالى كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله﴾. ومَن دعا إلى الله، هو كلُّ أحدٍ نادى إلى عبادته بإخلاص، والدعاء إلى شيءٍ هو أمرُ الناسِ بالتقوى، وتسمية الواعظ ـ عند بعض العرب ـ بالداعي؛ لأنّه يدعو إلى التشيّع لآل علي بن أبي طالب، وهذا حال المؤمنين حين أعلنوا التوحيد، وهو ما وُصفوا به آنفاً في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾، فقد كان المؤمنون يدعون المشركين إلى توحيد الله، وسيد الداعين إلى الله هو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ثمّ بيّنَ الإمام الحسين عليه السلام الغاية من ثورته وهي الغاية نفسها من خلق الإنسان؛ ليختبره المولى تعالى في هذه الدنيا، فقال عليه السلام: «﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾، فإذا أقمت في مكاني فبمَن يُمتحن هذا الخلق المتعوس وبماذا يُختبرون؟ ومَن ذا يكون ساكن حفرتي وقد اختارها الله تعالى لي يوم دحا الأرض...». لقد ابتلى اللهُ تعالى الأُمّةَ الإسلاميّة بموقف الإمام الحسين عليه السلام الثوريّ تجاه الطغيان الأُمويّ، وأبتلِيَ الإمام عليه السلام بتخاذل تلك الأُمّة وفشلها في الاختبار حتّى أذاقها الله تعالى لباس الخوف والجوع بعد تلك الفاجعة العظمى.

بعد أنّ دافع الإمام الحسين عليه السلام بحواره القرآني عن سلامة موقفه الثوريّ من كلّ شائبةٍ، ونزّه دعوتَهُ عن كلّ معصيةٍ أو فتنةٍ مُردية، تقدّمَ عليه السلام لإثبات شرعيّة ثورته ببيانٍ صادحٍ بذكر الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله...﴾، وقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ الله وَرَسُولَهُ﴾، فقد أعلن عليه السلام أنّ الواعز الرئيس لثورته ودافعه الأساس هو حكم الله تعالى بإقامة دولة العدل والأمر بالمعروف الذي حكم به جدّه المصطفى، والنهيّ عن المنكر الذي حاربه جدّه خاتم الرسل، ؛ ونتيجة لذلك نسمع بيانه عليه السلام الأوّل لثورته المباركة في وصيته التي كتبها لأخيه ابن الحنفية بعد حوارٍ طويلٍ: (... وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي صلى الله عليه وآله وسلم، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب عليهما السلام).

لقد تردد مضمون حواره عليه السلام في أذهان الأُمّة الإسلاميّة مدويّاً بين سلبٍ لكلّ شُبهةٍ ونفيٍ لكلّ تُهمةٍ، وبين إيجابٍ لكلّ ذريعةٍ شرعيّةٍ وإثباتٍ بحُجّةٍ قويّةٍ؛ لأنّ مصدرَها قرآنيٌّ لا يقوى على ردّها المرجفون، ولا يتمكّن أن يُفنّدها المبطلون. لقد أيقن المسلمون وقتها بضلالة الطاغيّة يزيد وفسقه وجوره، ونزاهة الإمام الحسين عليه السلام وعصمته بحبل الله المتين وشرعيّة ثورته، واتّضحت صورة مشهد طرفي الصراع لديهم بوضوحٍ تام، وهنا يكمن ثبوت حُجيّة الثورة البالغة لكلّ مَن سَمِعَ واعية الإمام الحسين عليه السلام ونداءه، وكان ينقصهم قوّة الإرادة وعلوّ الهمّة وشدّها، ورصانة العزيمة ورزانتها لبلوغ مدرك الفتح الأعظم وتحقيق النصر الأكبر، كما أنّ حبّهم للدنيا هو الحاجز الأكبر لفلاحهم، ورأس كلّ خطاياهم؛ لذلك لمّا استشعر الإمام الحسين عليه السلام من الأُمّة تثاقلها إلى الأرض وحبّها لزينة الدنيا وإيثارها على نعيم الآخرة ذكّرهم عليه السلام . وقتها . بفناء الدنيا وخلود الآخرة، وحتميّة لقاء الله تعالى للحساب، فتلا قوله تعالى: ﴿وَاجِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

وتأكيداً لبيانه عليه السلام في وصيته حاورهم وهو في طريقه إلى العراق، فقام في الناس خطيباً وداعياً إلى سبيل الحقّ وصراطه القويم فقد قال عليه السلام: «إنّ هذه الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها، فلم يبقَ منها إلّا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به وأن الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلّا برما».

لقد بيّن الإمام الحسين عليه السلام أنّ سعادة المرء في الدنيا رهنٌ كرامة العيش وعزّة النفس وسيادة المُثل العُليا، ومن دونها فلا خيرَ في الدنيا؛ إذ تكون كالسجن عيشها نكداً ونهارها مُظلماً، وأنّ الإنسان بطبعه يكون مُحبّاً للدنيا، فإن فاق حبُّه لها حبَّه للدين فقد ابتعد عن الله تعالى وأسخط رسولَه صلى الله عليه وآله وسلم والأئمةَ الطاهرين عليهم السلام، كما أنّه عليه السلام يرى أنّ المرءَ المُحبّ للدنيا إذا تمحّص بالبلاء ينسى دينه ويبقى حريصاً على دنياه الفانية، مائلاً عن ثواب آخرته الباقية، كارهاً للموت وهو حتميّ عليه. ومَن أحبّ دينه وتعلّق قلبه بالله تعالى مشايعاً لرسوله وأوصيائه عليهم السلام لن تضرّه القلاقل ولا تغريه الزبارج، وحين يرى أنّ الدين في المعمورة مهجوراً عندها يكره الدنيا ويتمنى الموت لملاقاة مَن أحبّه ويتنعم بجواره.

احتجاجه عليه السلام لردعهم عن سفك دمه الطاهر

لقد صدرت من الإمام الحسين عليه السلام في حواره مع الأعداء مناشدات فيها أسئلة تقريرية وأُخرى إنكاريّة على غرار الأسلوب القرآني في جداله مع الظالمين، كما نقل أصحاب السير وأرباب التاريخ أنّ الإمام عليه السلام أراد أن يلقي عليهم الحجّة البالغة وينبّه عدوه بالعواقب الوخيمة من مبارزته وقتاله مع أصحابه وأهل بيته، فقام فيهم خطيباً في أكثر من مرّة مذكراً، وجادلهم منكراً عسى أن يثيبوا إلى رشدهم ولا يتورطوا في سفك دمه الطاهر، ولكنّهم أصرّوا على قتاله عناداً للحقّ وطمعاً في عطاءٍ زائلٍ، وكانوا في ثواب الآخرة من الزاهدين.

ومن أهم حواراته الجدليّة مع أعدائه في يوم العاشر من المحرّم للتعريف بنسبه وحسبه، وقبيل أن تشتدّ الحرب بوطيسها وبعد أن وثب الإمام الحسين عليه السلام متكئاً على سيفه، فنادى بأعلى صوته: «أنشدكم الله، هل تعرفوني؟ قالوا: نعم، أنت ابن رسول الله وسبطه. قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟... قالوا: قد علمنا ذلك كلّه، ونحن غير تاركيك حتّى تذوق الموت عطشاً».

لقد أقرّ الطرف المعادي بنسب الإمام الحسين عليه السلام وفضله وحرمة قتاله على غرار إقرار الناس في القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾، الذي جاء في تفسيره أنّ أتباع الأنبياء والمصلحين قد أقرّوا بالتزام تعاليمهم، وهو بمنزلة الاستحلاف، بعد أن أخذ الله ميثاق النبيين لتبليغ الناس أحكام الكتاب وتعليمهم الحكمة، وأن يتعهدوهم الإيمان بخاتم الرسل وينصروه إن أدركوه، ودلّ على هذا الحلف ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾، والإصر هو العهد، والإصر في اللغة الثقل. إنّها مناشدة تجعل القوم في مساءلةٍ كبيرة أمام الله تعالى، وتتبعها أسئلة تقريرية متتالية تُفيد طلب الإذعان وترك الغيّ والشقاق والعناد من خلال تذكيرهم بنسب الإمام الحسين عليه السلام وحسبه الرفيع، والذي يُلقي الحجّة البالغة عليهم وتدين إصرارهم مع اعترافهم. فقد كان مثله كمثل مؤمن آل فرعون الذي أنكر على قومه متعجباً من إصرارهم على الحنث الوارد في قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾، فهل يحقُّ للقوم قتال سبطِ نبيّهم من غير ذنبٍ ولا جناية أو تقصير؟

ثمّ ينتقل عليه السلام إلى حوار القوم بحُجّةٍ أُخرى عامّة بعد حجّة النسب الخاصّة بشأنه، فيذكّرهم بالشريعة التي يدينون بها إن كانوا مسلمين حقّاً، فيسألهم مرّةً أُخرى عن المبرر الشرعي لقتاله والاقتصاص منه، فقد قال عليه السلام: «يا ويلكم، أتقتلوني على سنّة بدّلتها؟! أم على شريعة غيّرتها؟! أم على جرم فعلته؟! أم على حقّ تركته؟!».

وفي احتجاجٍ آخر للإمام مستعملاً السؤال الإنكاري المتضمّن للتعجب من موقفهم العدائي، واستغراباً من إصرارهم على قتاله، فناجزهم بحواره وألقى عليهم الحُجّة متوعداً إيّاهم عذاب الآخرة بنداء: (يا ويلكم)، ثمّ أردف الإمام سؤاله الإنكاري بتعجبٍ «عَلامَ تقاتلوني؟!» أيّ: ما هو سبب قتالهم إيّاه وما هو الوجه الشرعي أو العقلي لذلك، فلا يوجد أيّ مبررٍ يوجب قتال الإمام؛ إذ لم يُغيّر سُنّة باختلاق بدعةٍ، ولم يترك حقّاً في ذمته ولم يؤدّه.

لقد أوضح الإمام عليه السلام من خلال جداله أنّ الأُمّة وقتها أُصيبت بداء انعدام المعايير الصائبة، والانحياز لجهة الباطل بلا دليل شرعي أو عقلي غير اتّباعهم الهوى، فأقام عليه السلام عليهم الحُجّة البالغة والأدلّة المقنعة، ولكنّهم لم يرعوا ذلك، بل مضوا في غيّهم، وسعوا في منهج الخلاف لصريح آيات القرآن المجيد، وما أمرهم به من ضرورة إعمال العقل في التمييز بين أهل الحقّ والباطل كما قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾، لقد أعماهم الجهل وأضلّهم حُبُّ الدنيا، فقست قلوبهم وصارت كالحجارة التي لم تفسّرها قوّة زلزلة الحوار الحسيني وروعته، وبلاغة منطقه، وصدق حديثه.

وخلاصة القول تتمحوّر حول أُسلوب الإمام الحسين عليه السلام البديع في حواره مع الآخرين، وما تمخّض عنه من طرق استدلالية باستعماله لآي الذكر الحكيم؛ لما يحمله من أساليب احتجاجية مقنعة، فقد طرق الإمام عليه السلام جميع السبل العقليّة والشرعيّة لردع أعدائه من التورّط في سفك دمه الطاهر، فذكّرهم بحسبه ونسبه ومقامه في الإسلام، ثمّ عرج إلى توبيخهم وإصرارهم على قتاله كرجلٍ مسلم . على الأقل . لعلّة فقدانهم المبرر الشرعي لمناجزته وعدائه؛ إذ لم يُغيّر سُنّةً ولم يأتِ ببدعةٍ، وقد ألقى عليهم الحُجّة البالغة ولم يترك لهم عذراً يقدّمونه غداً في يوم حسابهم.

ورغم كلّ ذلك البيان البديع والحجج البالغة من حواره عليه السلام لم يستجب إلّا النزر القليل من المسلمين، ومع قلّةِ العدد وخذلان الناصر صمد عليه السلام مع تلك الثُلّة المؤمنة بوجه جيش أعتى الطغاة وأكثرهم فسقاً، وسجّل عليه السلام أكبر حدث شهده تاريخ الإسلام خاصّة والتاريخ الإنساني بصفة عامّة، وهو حدث واقعة الطف التي شهدت أكبر مأساة بقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في كربلاء، وسبي نساء أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كربلاء إلى الشام، وهذا الحدث يُمثّل انعطافة خطيرة في تاريخ المسلمين، ونقطة تحوّل في وعي المجتمع الإسلامي وثقافته؛ لما أحدثه من صرخةٍ مدويّةٍ بوجه الظالمين على مرّ الأزمان مهما كانت هويتهم أو منزلتهم الاجتماعيّة ومكانتهم السياسيّة.

فسلام على أبي الأحرار يوم وُلِدَ ويوم استُشهد دفاعاً عن بيضة الدين الإسلامي من كيدِ وزندقة بني أُميّة.

نتائج البحث

بعد الاستعراض المقتضب لأُسلوب الإمام الحسين عليه السلام الحواري لا بدّ من الخروج بنتائج عدّة، وهي ما يلي:

١. إنّ المنطلق الأمثل لمعرفة العقائد الإسلاميّة وأُصول الدين هو القرآن الكريم؛ لقطعيّة صدوره بإجماع علماء الإسلام، إلّا أنّهم اختلفوا في فهم معناه وتحمّل وجوهه؛ بسبب الإعراض عن تأويل المتشابه منه وتفسير محكمات آياته، فقد قام بعض المسلمين بالكشف عن مضمونه بالرأي من دون الرجوع إلى أُصوله ومنابع تفسيره.

٢. لقد استعمل الإمام الحسين عليه السلام آي القرآن الكريم في أغلب محاججاته مع المبطلين والمضلّين كما هو الحال مع المعترضين على خروجه من المغرضين بعد إعلان ثورته المباركة.

٣. لقد مهّد الإمام الحسين عليه السلام لثورته الكبرى بإثبات أُصول الدين الإسلامي؛ لتقوية عقيدة المسلم وزيادة بصيرته، وكشف زيف بني أُميّة وضلالهم وبطلان إمامتهم للأُمّة الإسلامية.

٤. عمل الإمام الحسين عليه السلام في توضيح الحقائق ونشرها كمقدمةٍ لبثّ روح الوعي العقدي في عقول المسلمين قبل استنهاضهم للثورة على أُصول الشجرة الخبيثة.

٥. اتّسم حواره القرآني عليه السلام بقوّة البيان وتمام الحُجّة البالغة على مَن سمع واعيته المباركة؛ لتكون دافعاً لنهضة الأُمّة بوجه الطغاة، ولكنّ أغلب المسلمين وقتها أعرضوا عن صوت الحقّ ميلاً لهوى النفس الذي أرداهم في الهاوية.

انتهت

المصدر: مجلة الاصلاح الحسيني، العدد الحادي والثلاثون

▫ مقالة/ الجزء الرابع والأخير

مكتبات النجف الاشرف القديمة والحديثة

▪ مكتبة مسجد الكوفة

اسستها امانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة وجهزت من قبل الأمانة بالأثاث المكتبي اللازم لراحة المطالعين والقراء ووسائل الراحة من مكيفات للهواء وبراد ماء وبمجموعة من الكتب التي روعي فيها أن تكون من أمهات الكتب والمصادر وقد كان الافتتاح بمناسبة ولادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام في العشرين من شهر جمادي الآخر من العام ١٤٣٠هـ الموافق ٢٠٠٩/٦/١٥، و قد كان عدد الكتب عند الافتتاح مايقارب ألفا وستمائة كتاب بوبت على أقسام المكتبة الأربعة عشر ولقد اعتمد في الأساس التصنيف الموضوعي في التبويب حيث قسمت الكتب إلى مجاميع حسب الموضوع الذي يتناوله الكتاب وهذه الأقسام هي على التوالي (علوم القران، علوم الحديث، العقائد، قسم التاريخ، العلوم الفقهية، الأخلاق والعرفان، الحكمة والفلسفة، العلوم الحياتية، الصحف والمجلات، قسم الكوفة، التراجم والرجال، قسم الشعر، قسم الأدب، وأخيرا المعاجم والقواميس) ثم ليرتفع العدد بعد ذلك إلى ألفين ومائة كتاب خلال الأشهر الثلاث اللاحقة نتيجة لمشتريات الأمانة الشهرية حيث تم تخصيص مبلغ شهري لهذا الغرض وقد أهديت إلى المكتبة وعلى فترات متلاحقة عدة مجموعات من الكتب بمختلف المواضيع ومن أكثر من جهة مؤسسات كانت أو أفراد وحاليا تضم المكتبة اليوم بين دفتيها أكثر من أربعة آلاف واربعمئة كتاب وقد استحدث قسم سيرة أهل البيت عليهم السلام وقسم القانون وأكثر من ملحق للأقسام السابقة للزيادة في عدد كتب تلك الأقسام .

إن دوام المكتبة مستمر طيلة أيام الأسبوع ودون انقطاع حيث يبدأ من الساعة الثامنة صباحا عند بداية الدوام لينتهي مساء بعد الساعة التاسعة أي مع إغلاق المسجد حيث يتناوب الكادر الموجود والمؤلف من شخصين (حاليا) على ذلك ماعدا أيام الجمع التي يكون الدوام فيها للفترة المسائية فقط، وهذه ميزة قد تفتقر لها بقية المكتبات كما وقد خصص يوم من كل أسبوع للنساء وقد هيئ كادر نسائي لذلك الغرض.

▪ مكتبات الخطباء

ومن أهم مكتبات النجف الخاصة: مكتبات خطباء المنابر الحسينية الذين تلزمهم مهمتهم كخطباء الاحاطة بالتأريخ، والشعر، والأدب، واللغة، احاطة لا يمكن أن تتيسر بدون مكتبة زاخرة بالمصادر المهمة من أمهات الكتب، وقد رأينا من هذه المكتبات الخاصة بالخطباء مكتبة الخطيب السيد جواد شبّر، وهي نموذج لما تحتوي عليه مثل هذه المكتبات، فهي مكتبة غنية بالنفائس من المعاجم والتراجم، وكل المجاميع، والدواوين، والكتب التأريخية ودوائر المعارف، والموسوعات، بينما لم يزد عددها على (٢٥٠٠) كتاب، ومن نفائس مخطوطاتها عدد من كتب السيد عبدالله شبر وهو الجد الأكبر لهذه الأسرة، وتعتبر مؤلفاته من النوادر القيمة، وقد طبع للسيد عبدالله شبر بعض الكتب في السنوات الأخيرة كان آخرها كتاب جليل في (الأخلاق) وبقيت مخطوطاته . والغالب منها انها بخط المؤلف نفسه . عند بعض أبناء الأسرة وقد رأينا طائفة منها في مكتبة السيد عباس شبر في البصرة وفي ضمنها مذكرات يومية غاية في الأهمية بخط السيد عبدالله شبر نفسه.

▪ مكتبة آل بحر العلوم

هذه المكتبة من أقدم مكتبات النجف الخاصة التي وصلت الينا أخبارها أيضاً فقد اقتناها الزعيم الروحاني الكبير السيد محمّد مهدي بحر العلوم جد الأسرة العلمية الكبيرة المعروفة باسمه في النجف، وان انفراده بالزعامة الروحية الواسعة جاء نتيجة لتبحره في عدد من العلوم والمعارف بالاضافة إلى تبحره في الفقه والحديث، واللاهوت، وقد تواترت الأخبار عنه بأنه قلما وجد كتاب في العربية والفارسية دون أن تكون نسخة لديه منه، وقد قيل ان مكتبته نفسها مثلت هذا البحر من العلوم كما مثله هو، وجاء في (المستدرك) عن السيد محمّدمهدي انه: قد أذعن له جميع علماء عصره ومن تأخر عنه، بعلو المقام، والرئاسة في العلوم النقلية، والعقلية، وسائر الكمالات النفسانية وجاء في (ماضي النجف وحاضرها) ان مكتبته كانت مشتملة على نفائس المخطوطات، وكلها محلاة بالذهب، ومجدولة، جيدة الخط والقرطاس، ولم يوجد فيها مطبوع، وانتقلت بعده إلى ولده السيد رضا، وبعد وفاته انتقلت إلى أولاده السيد محمّد تقي، والسيد حسين، والسيد عليّ، وقد جمع أكثرها السيد عليّ آل بحر العلوم صاحب (البرهان القاطع) وكان تأسيس هذه المكتبة في نحو الثلث الأخير من القرن الثاني عشر الهجري.

▪ مكتبة آل خرسان

أسسها السيد حسن بن علي من آل خرسان الموسويين القاطنين في النجف . كان معاصرا لصاحب الجواهر . سكن بغداد بالتماس بعض تجارها، وتزوج هناك ومات بها في (١٢٦٥) وحمل جثمانه إلى النجف: ودفن في مقبرتهم، وانتقلت الكتب بعده إلى أكبر أولاده السيد عباس، فزاد عليها وأوقفها في (حدود ١٣٠٠) على أخيه السيد موسى المتوفى (١٣٢١) وابنه السيد محمد وأخيه السيد محمد حسين، وفي زمانهم احترقت أكثر مخطوطات المكتبة، وبعدهم انتقلت إلى السيد عبد الهادي ابن موسى المذكور ، ثم إلى ولده السيد حسن، ثم ولده السيد مهدي بن الحسن المعاصر المولود (١٣٤٠).

▪ مكتبة آل محي الدين

هي مكتبة الشيخ محمّد بن الشيخ يوسف محي الدين أحد علماء هذه الأسرة وكانت عنده كتب عدت بالألوف، وقد أشار اليها الشيخ عليّ كاشف الغطاء وعدها من المكتبات المهمة بما كانت تحتوي عليه من نفائس الكتب.

وحينما مات بيعت هذه الكتب وقد رأيت أنا البعض منها في مكتبة الشيخ قاسم محي الدين وقد كتب عليها الشيخ قاسم انه اشتراها من بعض من وجدها عنده لأن عليها حواشي بخط الشيخ محمّد الشيخ يوسف، وكان تأسيس هذه المكتبة في أواخر القرن الثاني عشر الهجري.

▪ مكتبة آل مشكور

أسسها الشيخ مشكور بن محمد الخاقاني نسبا الحولاوي مولدا، النجفي مسكنا ومدفنا الذي غرق في الحمام الهندي في النجف عام (١٢٧٢) . وبعده انتقلت المكتبة إلى أولاده وهي الشيخ حسين بن مشكور بن جواد بن الشيخ مشكور الكبير .

▪ مكتبة الحاج ملاّ باقر

كانت للحاج ملاّ باقر الشوشتري مكتبة نفيسة أسسها في نحو الثلث الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري وكانت تحتوي على ٣٠٠٠ كتاب، ومعظمها كان من الكتب المخطوطة النادرة التي انفردت هذه المكتبة بالحصول عليها بين المكتبات المعروفة بجمع النادر الفريد، ومن أهم هذه الكتب:

١. نسخة من زبور داود يرجع تاريخ خطها إلى أوائل القرن الرابع الهجري.
٢. نسخة من (شرح الصحيفة السجادية) قديمة.
٣. نسخة من كتاب (كشف اللثام في شرح شرايع الإسلام) للفاضل الهندي، وهي بخطه.وان أغلب هذه المكتبة قد انتقلت بعد ذلك من النجف إلى بمبي وقد تلفت، بسبب الرطوبة وانعدمت من الوجود على ما نقلوا.(كتاب خانهاي ايران . بالفارسية . لعبد العزيز الجواهري ص ١٠٥).

▪ مكتبة الخليلي

كان الحاج ملاّ عليّ الخليلي مملقاً، وزاهداً في المال، ومتقشفاً غاية التقشف، في ملبسه، ومأكله، وقد ورثت زوجته من أبيها أطياناً، وثروة، فهي ابنة السيد محمّد الرحباوي الذي قامت معركة الزّكرت والشمرت بسبب مقتل أخيه السيد محمود، فوضعت كل ثروتها تحت نفوذ زوجها الحاج ملاّ عليّ ولكن زوجها لم تمتد يده اليها لزهده، ونسكه المعروف، غير انه استعان ببعض المال منها في شراء الكتب، وبذلك تألفت مكتبته الكبرى.وقد كانت هذه المكتبة تمتاز على المكتبات الأخرى في عصرها بما كانت تضم من كتب الرجال، والتراجم، حتى لقد قيل إن كثيراً من كتب الرجال التي ورد ذكرها في بطون التواريخ والتي اعتبرت مفقودة كانت لديه منها نسخة، إذا لم تكن النسخة الأصلية نفسها، ولذلك اعتبرت مؤلفاته في الرجال من أدق، وأصح ما أؤلف في هذا الباب، وقد روى بعض أفراد أسرة الخليلي ان الكتب التي تخص علم الرجال، أو تراجم أحوالهم وسيرتهم، وعلى الأخص رجال الحديث، والرواية، كانت وحدها تتجاوز ألف كتاب!!! وهناك نحو ألفي كتاب آخر في سائر العلوم كان قد وقف الجميع باستئذان زوجته على طلاب العلم فوزعت بعد وفاته على المدارس الدينية وطلاب العلم.أما مؤلفاته فقد انتقلت إلى ورثته ولم يزل بعضها عند أحفاده ومنها بعض مؤلفاته وحواشيه على الأسفار في بعض المكتبات الخاصة في النجف ومنها أحد مؤلفاته في الرجال وغيره في مكتبة الشيخ عليّ كاشف الغطاء.وكان تأسيس مكتبة الحاج ملاّ عليّ في حدود العشرات الأولى من القرن الثالث عشر الهجري.

▪ مكتبة الخونساري

أسس هذه المكتبة الشيخ آقا محمّد عليّ الخونساري في نحو الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الهجري، وكانت تحتوي على عدد كبير من نفائس المخطوطات النادرة التي أفنى عمره في جمعها سنين طويلة، وكان فيها على ما نقلوا، ما لم يوجد في غيرها من المكتبات من النسخ والكثير منها مخطوط بخطوط قديمة، منها (سلوة الغريب) و (رحلة السيد عليّ خان المدني الشيرازي) إلى مكة والهند، وهي التي اكتسبت شهرة كبيرة في عالم الكتب بالنظر لأهمية بحوثهاوقد انتقلت وراثة إلى أولاده، وكان لها فهرست بأسماء جميع محتوياتها، ولم يبق لها أثر اليوم.

▪ مكتبة السيد أحمد هلاله

هذا السيد من وجهاء سادات القبائل في البطائح، وكانت له في النجف دور وأملاك، وقد عرف بهوايته الكتب، واقتنائها، وقد كان ينفق على شراء الكتب كثيراً، والمروي عن كتبه انها كانت من النفائس النادرة، وجلها من الكتب المخطوطة، وقد شاهد بعض كتبه هذه الشيخ عليّ كاشف الغطاء على ما روى في كتابه (نهج الصواب)، وكان تأسيسها في أوائل القرن الثالث عشر ولم يبق اليوم منها غير ذكرها في بعض حواشي الكتب والتراجم.

▪ مكتبة السيد صادق كمونه

شب ولعه بالكتب مع شبابه وهو طالب في كلية الحقوق، ثم ما لبث أن ولع بتتبع القضايا القانونية، وساقه هذا التتبع إلى أن يبحث عن طائفة من الكتب الخاصة والمخطوطات منها حتى جمع مكتبة من أنفس المكتبات من حيث مطبوعاتها، ومخطوطاتها. جاء في دليل الجمهورية العراقية عن مكتبة السيد صادق قوله: أنشأها في بغداد سنة ١٩٣٥ م فيها من الكتب المختارة ما قد تنفرد به عن غيرها، وتدور موضوعاتها على الفقه، والفلسفة، والتصوف، والأدب، والتأريخ، والتراجم، وفيها مجموعة قيمة من المخطوطات والحقيقة ان هذه المكتبة قد تأسست في النجف ولم تنقل إلى بغداد إلاّ أخيراً حين انتقل السيد صادق كمونة إلى بغداد واتخذها سكناً، وقد تأسست بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري بقليل وتحتوي هذه المكتبة على (٨٠٠٠) كتاب. وقد حوت مكتبة كمونة نسخاً غير قليلة من كتب السماوي التي اشتريت وضمت إليها.

▪ مكتبة السيد عليّ بحر العلوم

هو حفيد السيد محمّد مهدي بحر العلوم، وقد رويت عن مكتبته روايات كثيرة لأن جل مكتبة جده قد آلت إليه قبل بيعها، ولأنه أضاف إليها ما استطاع أن يجمع من الكتب النفيسة النادرة. وقد روي عنه انه كان سخياً يبذل المال في سبيل اقتناء الكتب، والحقّ ان هذا السخاء في شراء الكتب صفة لازمت أعضاء هذه الأسرة في مختلف العصور حتى تكاد لا تجد بيتاً من بيوت هذه الأسرة حتى هذه الساعة ولم تصف الكتب في رفوفها إلى السقف مما سنشير إلى المهم منها في هذا الحقل، وعند وفاة السيد عليّ بيعت هذه الكتب وتفرقت وقد اشترى طائفة من كتبها الشيخ عليّ آل كاشف الغطاء كما احتفظ بعدد من مخطوطاتها بعض الورثة من أسرة بحر العلوم، وقد تأسست مكتبة السيد عليّ في منتصف القرن الثالث عشر الهجري.

▪ مكتبة الشيخ محمّد باقر الأصفهاني

قال الشيخ جعفر محبوبة نقلا عن (نهج الصواب): جمع هذا الشيخ كتباً نفيسة في سائر الفنون وكان يشتريها بأغلى القيم، واستنسخ جملة كثيرة منها، وهو من عشاق الكتب والحريصين عليها وقد استأجر لها داراً خاصة، وعين عليها قيّماً، أباح المطالعة والاستنساخ لكل من أراد، فكانت مكتبته عامة نافعة لسائر المحصلين، والمستفيدين، ثم لما أراد الرجوع إلى وطنه اصفهان باع جملة منها في النجف، وجملة منها في كربلاء، وحمل ما اختار منها إلى اصفهان على ما روى الشيخ عليّ كاشف الغطاء.ويستنتج من ترجمته الواردة في (أعلام الزركلي) بتعيين وفاته في سنة ١٣١٣ هجرية ان تأسيس مكتبته كان بعد منتصف القرن الثالث عشر الهجري.

▪ مكتبة الملالي

وهي مكتبة منسوبة لآل (الملاّ) أو الملالي كما هو المشهور، الذين جمع بعضهم بين النقابة والحكومة، والزعامة الروحانية، وسدانة الروضة الحيدرية، مدة ثلاثة قرون، وقد انحدر من هذه الأسرة عدد من أكابر العلماء، والفقهاء الذين كان لهم صيت في البحث، والدرس، والتأليف، وإن كتاب (الحاشية على تهذيب المنطق) هو من بعض مؤلفات جدهم الملاّ عبدالله بن شهاب الدين اليزدي المتوفى سنة ٩٨١ هـ والمعروف بالشهاب آبادي، والذي لا يزال كتابه هذا ومنذ أربعة قرون وهو يدرس في المدارس العلمية، وقد كانت للملا عبدالله مدرسة في النجف باسمه، وقد ورد ذكر لكثير من أسماء كتبها، وازدهارها بالعلم، في عرض المرور بتراجم رجالات هذه الأسرة، ومن الذين أشار إلى ذلك السيد حسن الصدر في (تكملة الآمل) والسيد محسن الأمين في (أعيان الشيعة)، والشيخ أغابزرك، ولا يبعد أن تكون كتب هذه المدرسة من أنفس الكتب وأثمنها بالنظر لما تعاقب على رعايتها من رجالات هذه الأسرة من العلماء، والفقهاء، والشعراء، الذين لو جمع ما قيل فيهم من الشعر لألّف دواوين واسعة، وهي أقدم مكتبة عامة لأقدم مدرسة وصل إلينا خبرها، وليس اليوم لهذه المكتبة أثر أو بعض أثر.

▪ مكتبة المنتدى

تأسست مع تأسيس جمعية منتدى النشر ونمت بذرتها أول ما نمت في بيت السيد موسى آل بحر العلوم في محلة المشراق وذلك في نحو سنة ١٣٥٤ هجرية وحين انتقلت جمعية المنتدى إلى بيت (البانو) في شارع (الصدتومان) كانت المكتبة في أبان ازدهارها ونمت أكثر في البيت الواقع بشارع آل دوش حتى انتقلت أخيراً إلى بناية جمعية المنتدى الجديدة الملتصقة بالصحن الشريف من جانب السوق الكبير، ونواة هذه المكتبة قد تألفت من مجموعة الكتب التي تبرع بها أعضاء الجمعية ولم يزد مجموعها على (٣٠٠٠) كتاب وكلها مطبوعة وليس فيها من المخطوطات إلاّ القليل الذي لا يزيد على ٥٠ كتاباً أهمها (المختلف) للعلاّمة الحلي، و (الكفاية) للزيزواري، و (المفاتيح) للكاشاني.

▪ مكتبة صاحب الذريعة

أسسها الشيخ أغا بزرك الطهراني مؤلّف الموسوعة القيمة (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) عام ١٣٤٥هـ، ووقفها عام ١٣٧٥هـ، وفيها حوالي خمسة آلاف كتاب من بينها الموسوعات التاريخية، والرجالية، والمخطوطات النادرة منها:

١. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، بخط مؤسس المكتبة مؤلف الكتاب.
٢. طبقات أعلام الشيعة، له أيضا وبخطه.
٣. إجازات القرون الثلاثة الأخيرة، له أيضا وبخطه.
٤. مجموعة الفوائد المتفرقة، له أيضا وبخطه.
٥. مستدرك الذريعة، له أيضا وبخطه وغيرها وتقع هذه المكتبة في دار مؤسسها بمحلة الجديدة .

▪ مكتبة مدرسة الصدر الأعظم

تقع في بناية مدرسة الصدر الواقعة عند مدخل سوق الكبير، أسسها الحاج محمّد حسين خان الأصفهاني المعروف بالصدر الأعظم، وسمّيت نسبة إلية ؛ وذلك في أيام فتح عليّ شاه القاجاري في النصف الأوّل من القرن الثالث عشر الهجري، تعتبر أول مكتبة عامة أنشئت في مدينة النجف الحديثة، وقد أصبحت من أشهر مكتباتها لفترة من الزمان، وقد أسسها الصدر الأعظم ليستعين بها طلاب مدرسته الدينية، وقد بذل عليها الأموال الطائلة لتزويدها بالمصادر العلمية الخطية والمطبوعة. وعلى الرغم من أهميتها والمبالغ الكبيرة التي أنفقت عليها إلا إنّها فقدت الكثير من مخطوطاتها الأثرية وكتبها النادرة التي كان عددها كبيراً حتّى الربع الأوّل من القرن الرابع عشر الهجري.

▪ مكتبة مدرسة اليزدي

وهي مكتبة انشئت في نحو الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري، بعد انتهاء بناء المدرسة الكبيرة الفخمة التي بناها السيد محمّد كاظم اليزدي في الشارع المسمى اليوم باسم مدرسة اليزدي، من سوق الحويش، وميزة هذه المكتبة ليس في وفرة كتبها وما تضم من المصادر التي يحتاج اليها طلاب العلم فحسب، وانما لأن ما طرأ على كتبها من طوارىء الفقدان والتلف كان أقل من مكتبات المدارس الأخرى، والسبب ان هذه المكتبة كانت موضع عناية خلفه السيد عليّ اليزدي، وقد كان من المراجع الروحانيين بعد أبيه، ثم موضع عناية أولاده وأحفاده حتى اليوم، ولما كان انفراد السيد محمّد كاظم اليزدي بالزعامة الروحانية الشيعية انفراداً قل نظيره في التأريخ، فقد سهّل ذلك تأسيس أكبر مكتبة بالنسبة لمكتبات المدارس في أفخم مدرسة في يومها وهي اليوم احدى مكتبات المدارس المهمة في النجف.

▪ مكتبة مدرسة آية الله البروجردي

أسسها السيد حسين البروجردي . المرجع الديني الشهير . عام ١٣٧٣هـ، وفيها ما يزيد على خمسة آلاف مطبوع، ومئات المخطوطات، ومن نوادر مخطوطاتها:

١. أُصول الهندسة والحساب، إقليدس.
٢. أُصول الهندسة والحساب، لنصير الدين الطوسي.
٣. تحفة الحاتمي في الأسطولات، للشيخ البهائي.
٤. رسالة في الجبر والمقابلة، لنصير الدين الطوسي.
٥. القانون، لابن سينا وغيرها وتقع في مدرسة آية الله البروجردي، قرب دورة الصحن الحيدري الشريف.

إنتهت

المصدر: الموقع الإلكتروني دار الزهراء عليها السلام

مقالة

القواعد الفقهية في التراث الفقهي الإمامي تأسيسا وتطويرا

السيد منذر الحكيم

الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

حاجة العصر الى تقعيد الفقه والتنظير الفقهي

إن المستجدّات في مرحلتنا الراهنة وبعد دخول الفقه الى ميدان المجتمع كعنصر محوري وأساس يتطلّب جهوداً علمية أصيلة من حيث الاهتمام بمحورية الشريعة في الحياة الاجتماعية، وتوجه الفقهاء الى تطبيق الشريعة في المجتمع، هذا ما يتطلّب:

أوّلًا: رؤية اجتماعية للاسلام.

ثانياً: كما يتطلّب فهماً اجتماعياً للنصوص.

ثالثاً: ويحتاج إلى فهم القواعد العامة والخاصة للشريعة.

رابعاً: عدم إغفال فقه المقاصد وفلسفة الفقه.

خامساً: وبالتالي الدخول الى عصر التنظير الفقهي وتدوين الأنظمة الفقهية التي تلبّي كلّ الحاجات الاجتماعية الانسانية على أساس الاسلام الذي جاء ليظهر على الدين كلّه ويغطّي كلّ الساحات الاجتماعية ويمثّل خط الهداية الربّانية في كلّ مجالات الحياة.

من فقه المقاصد إلى فقه القواعد

إنّ القرآن الكريم ثمّ نصوص أهل البيت عليهم السلام تبعاً للقرآن الكريم هي المصادر الاولى التي اهتمت بطرح وتبيان مقاصد الشريعة.

غير أنّ الفقه ولأسباب خاصة كانت قد أحاطت به أخذ يبتعد عن الاهتمام بمقاصد الشريعة بالتدريج وأصبح يركّز على تفاصيل الأحكام الشرعية وأدلّتها ويلتمس الوثائق والأدلّة لمستحدثات المسائل بعيداً عن محور العلل والمقاصد حتى أغفل الفقهاء- في بعض المراحل من هذه الحركة الفقهية- الاهتمام بالمقاصد التي تشكل الاطار الأول والعام للأحكام والنظريات الفقهية حيث يكون إغفالها موجباً لخروج الفقه عن المسيرة التي اعدّت له في الحياة.

وحين نتتبّع هذا الاهتمام بالمقاصد الشرعية للأحكام الإلهية عند فقهائنا نجد الشهيد الأول من الروّاد الذين أدلوا بدلوهم الكبير وممّن اهتم بهذا الحقل اهتماماً رائعاً كما جاء في كتابه النفيس (القواعد والفوائد).

فالشهيد الأول ركّز في قواعده بشكل عام على المقاصد الشرعية كما في القواعد رقم (٤ و٥ و٦) حيث ربط القواعد الشرعية بالمقاصد، وجعلها كلّها مصاديق وطرقاً لتحقيق مقاصد الشريعة التي تتلخّص في جلب النفع ودفع الضرر عن الانسان في الآخرة والدنيا بشكل أساس ووزّعها على مجالات خمسة، هي: النفس والدين والعقل والنسب والمال.

ولعلّ في عبارة المقداد السيوري من أنّه «يشتمل على قواعد وفوائد في الفقه تأنيساً للطلبة بكيفية استخراج المنقول من المعقول» إشارة واضحة إلى هذا المنحى المقاصدي في هذه القواعد.

من هنا يمكن القول بأنّ الاتجاه العام في قواعد الشهيد الأوّل هوالاهتمام بالقواعد الفقهية على أساس الاهتمام بالمقاصد الشرعية، وهي حقيقة مهمة وأساسية لا يمكن إغفالها حين دراسة القواعد الفقهية من خلال النصوص الدينية التي وردت حول هذه القواعد. ويشهد لذلك قلّة اعتماده على النصوص التي تكفّلت ببيان هذه القاعدة إذا ما قسنا ذلك بما جمعه المتأخّرون من النصوص حول كلّ من هذه القواعد.

بينما سار المحقق القمي باتجاه كيفية اقتناص القاعدة الفقهية من النصوص المأثورة، فالبحث عن قاعدة نفي الضرر عند المحقق القمي قدس سره قد اتجه بهذا الاتجاه بوضوح.

وتكفي مقارنة بسيطة بين النصّين: نصّ الشهيد الأول ونصّ المحقق القمي لفهم هذا الانتقال.

وقد جاء بحث الفاضل النراقي لقاعدة نفي الضرر على أعتاب هذا الاتجاه الجديد، فالفاضل النراقي قد اتّبع منهج المحقق القمي وطوّره متّجهاً إلى فقه النصوص المأثورة وكيفية معالجتها لاقتناص قاعدة فقهية ذات مستند منصوص في روايات الفريقين أيضاً.

والشهيد الأوّل قد ذكر بشكل عام أنّ القواعد تستند إلى الكتاب والسنّة والإجماع والعقل، وذكر منها قاعدة نفي الضرر، وأشار في مطاوي بحثه عن مصاديق هذه القاعدة إلى آية قرآنية واحدة، ولكن القرآن الكريم حافل بآيات تكلّمت عن نفي الضرر ولم يُشر اليها أيّ واحد من هؤلاء الفقهاء بدءاً بالشهيد وانتهاء بالنراقي والميرفتاح والشيخ الأنصاري، فهل في ذلك ما يردّ الاستدلال بها؟! أم إنّه غفل عنها انسياقاً مع الاتجاه الأخباري في التغافل عن كتاب الله والاهتمام بنصوص الحديث فقط؟! أم أنّ نصوص الكتاب ذات إجمال ونصوص الحديث ذات بيان وتبيان؟! والله أعلم بحقيقة الحال.

الفاضل النراقي بين القمي والمراغي

إنّ الموقع المتميز للفاضل النراقي في مجال تدوين القواعد الفقهية يتجلّى بوضوح حينما نقارن بحوثه مع من سبقه من كبار تلامذة الوحيد البهبهاني كالمحقق القمي، وحينما نقارنها مع من عاصره كالمير فتاح الحسيني.

ويمكن أن نستشهد بما أنجزه المحقق القمي في مجال قاعدة نفي الضرر كمصداق من مصاديق هذا البحث المقارن من جهة، وما أنجزه المير فتاح في نفس هذه القاعدة من جهة اخرى لتبيين مستوى إنجاز النراقي في هذا المجال باعتباره قد سبق المير فتاح وتأخّر عن الميرزا القمي قدس الله أسرارهم جميعاً.

أمّا المحقق القمي الذي يعدّ إنجازه ثالث إنجاز- حسبما اطّلعنا عليه- في مجال قاعدة نفي الضرر بعد الشهيد الأوّل (٧٨٦ ه) والفاضل التوني (١٠٧١ ه) بحسب ما لدينا من مصادر في هذا المجال فإنّنا نجده يحاول تقديم مادة فقهية مستندة ومشروحة حول القاعدة بعد أن كان الشهيد قد اكتفى بطرحها مشيراً إلى مصدرها فقط، وبعد أن كان الفاضل التوني قد تعرّض لفقه حديث «لا ضرر ولا ضرار» بشكل مقتضب جداً مع محاولة إقحامه في البحث الاصولي في وافيته متكلّماً عن دلالة الحديث بشكل مختصر جداً، نرى المحقق القمي يقوم بشرح الحديث ويبيّن تعدّد طرقه ومصادره، وفي هذا دعم لمستند القاعدة، ثمّ يقارن القاعدة المستفادة منه مع الاصول العملية وسائر الأدلّة الفقهية ليبيّن موقع هذه القاعدة في عملية الاستنباط ويجيب على الإشكالات المتصوّرة أوالمطروحة على هذه القاعدة، كما يتعرّض لتطبيقات هذه القاعدة بشكل إجمالي، كلّ هذا في كتابه (قوانين الاصول) في ذيل البحث الذي طرحه الفاضل التوني في مبحث أصالة البراءة. فالمحقّق القمي يكون قد أدخل البحث عن قاعدة نفي الضرر في مرحلة جديدة وله قصب السبق في هذا المجال.

ولكن هذا التطوير قد حظي بتطور كمّي وكيفي في منهج البحث على يد الشيخ المولى أحمد النراقي قدس سره، واستمر هذا التطوير الذي أحدثه النراقي بشكل وآخر بعد أن أرسى دعائمه، حتى نجد أنّ ملامح إنجاز النراقي يهيمن على كلّ ما كُتب من بعده، بدء من تلميذه الشيخ الأنصاري وحتى يومنا هذا.

مقارنة بين منهجي النراقي والمراغي

إنّ المير فتاح الحسيني- الذي تتلمذ على يدي شيخيه العظيمين من آل كاشف الغطاء: موسى وعلي ابني الشيخ جعفر الكبير- قد اختلفت معالجته للقاعدة المبحوث عنها، وهي قاعدة نفي الضرر.

قال الفاضل النراقي: «قاعدة في نفي الضرر والضرار: قد شاع استدلال الفقهاء في كثير من المسائل الفقهية بنفي الضرر والضرار، وتحقيق المقام يستدعي رسم أبحاث، البحث الأوّل في نقل الأخبار الواردة في ذلك المضمار ...».

بينما قال في العناوين: «عنوان: من جملة الاصول المتلقّاة من الشريعة «قاعدة الضرر والضرار»، وهومن القواعد الكثيرة الدوران، العامة النفع، ويبتني عليه كثير من الفروع في الفقه إلّا أنّ الاجمال المخلّ إنّما هوفي معناه وفي كيفية دلالته، ولهم في ذلك كلمات كثيرة، والذي ينبغي البحث في ذلك تنقيح المراد منه بحسب ما يستنبط من كلمات الأصحاب؛ لأنّها المعيار في أمثال الباب، فلا بدّ أولًا من ذكر المقامات التي استندوا فيها إلى قاعدة نفي الضرر حتى يتّضح من مجموعها ما ينبغي أن يقال في ضبط المعنى والمراد وتحرير الاستدلال ليكون جامعاً بين النصّ والفتوى».

فالنراقي يركّز على النصّ بينما يركّز المراغي على النص والفتوى ويبدأ النراقي، بالنصّ بينما يبدأ المراغي بموارد الاستدلال والاعتماد على هذه القاعدة في أبواب الفقه، ويقوم بعملية الاستقراء ضمن جولة مفصّلة في كلّ أبواب الفقه ليرى رأي الفقهاء فيها من خلال استعمالهم لها، ويعتبر تداول الفقهاء لها وموارد الاستناد اليها هي الغرض الأهم للفقيه، بينما يقف النراقي عند تحليل النصّ الوارد في هذا المضمار ولا يعير أهمية لفهم الفقهاء أواستدلالهم بها في الموارد الكثيرة التي استندوا اليها في عامة أبواب الفقه. وهذا فارق منهجي ملفت للنظر ويفرز نتائج خاصة في عملية الاستنباط بشكل عام.

وأمّا سائر النقاط التي تعرّض لها النراقي بعد استعراض روايات نفي الضرر التي أنهاها إلى إحدى عشرة رواية فهي:

١. معنى الضرر و الضرار لغة و موارد استعمالهما في العرف و اللغة.

٢. معنى نفي الضرر و الضرار و بيان المحتملات في معنى الضرر و بيان نتائج كلّ احتمال.

٣. إنّ نفي الضرر أصل و قاعدة ثابتة بالأخبار المستفيضة و غيرها من اصول التشريع.

٤. معالجة حالات التعارض بين هذه القاعدة و سائر الأدلّة.

٥. مفاد نفي الضرر هو نفي الحكم، لا إثبات حكم و تعيينه. ثمّ مناقشة ما ارتكبه كلّ من الفاضل التوني والمحقق القمي في هذا المجال.

٦. الملاك في تحديد الضرر المنفي.

٧. موارد تعارض نفي الضرر مع دليل آخر.

٨. التكاليف الشاقة الضررية ظاهراً و علاقتها بدليل نفي الضرر، و مناقشة المحقق القمي في ذلك.

٩. ما يكون جبراً للضرر، و مدى دخوله في مورد تعارض الضررين.

١٠. حكم الإذن بالضرر.

وأمّا منهج المير عبد الفتاح المراغي حيث لخّص البحث فيما يلي:

١. استقراء موارد تعرّض الفقهاء لقاعدة نفي الضرر من خلال تطبيقاتها، ثمّ استنتج معنى عاماً منها.

٢. عرّج على مستندهم لهذه القاعدة و هي الأخبار المتواترة، كما أضاف اليها دليل العقل.

٣. ثمّ ذكر المعنى اللغوي من مصادر اللغة.

٤. ثمّ تعرّض لموارد الضرر من الأعيان والمنافع و الحقوق و النفس و البدن و العرض، و الضرر بالفعل و الضرر بالقوة.

٥. ثمّ بيّن المراد من نفي الضرر، و ناقش المحقق القمي في ذلك، كما ناقش صاحب العوائد.

٦. ثمّ بحث في مدى قبول هذه القاعدة للتخصيص، و ناقش القمي أيضاً من جهة، وصاحب العوائد من جهة اخرى.

٧. ثمّ ذكر أنّه هل يقبل الاذن أو لا؟

٨. وناقش صاحب العوائد في أنّ قاعدة الضرر لا تثبت حكماً ولا تعيّنه.

٩. كما ناقشه في مسألة تعارض الضررين أيضاً.

١٠. وبحث أيضاً تعارض قاعدة نفي الضرر مع مفاد عموم سلطة الناس على أموالهم.

وأمّا المحقق المدقق الشيخ الأعظم الأنصاري الذي تتلمذ عند الفاضل النراقي فقد لخّص رسالتي النراقي والمراغي وهذّبهما وإن كان قد اتّبع المنهج العام لأستاذه النراقي وناقش من سبقه، ولكن الفضل يعود لهذين العلمين اللذين تباريا في هذا المضمار وقدّما للفقهاء ثمرة جهدهما العلمي من الفكر والإبداع.

الخطوط العريضة لدراسة القواعد الفقهية بشكلٍ منهجي

إنّ ما نستخلصه بعد المقارنة هو ضرورة الاهتمام بالمنهج العلمي المتكامل الذي رسم كلّ واحد أو كلّ مجموعة من الفقهاء القدامى والمحدّثين بعض خطوطه العريضة، ويتلخّص في مجال البحث عن القواعد الفقهية بما يلي:

١. استقصاء مقاصد الشريعة في الكتاب والسنّة استقصاءً تامّاً مع تمييز المقاصد العامة لها.

٢. استقصاء القواعد الفقهية وتنظيمها بشكل هرمي يجمع القواعد العامة لكلّ مجالات الحياة وأبواب الفقه الى جانب القواعد الخاصة بكلّ مجال وبكلّ باب فقهي.

٣. التوجّه الى كتاب الله لاستخراج هذه القواعد من النصوص مباشرة أو من خلال مصاديقها حسب منهج استقرائي قابل للاحتجاج به.

٤. التوجّه الى نصوص الحديث ودراستها سنداً ونصّاً ودلالةً.

٥. مقارنة ما أفرزته نصوص الكتاب مع ما أفرزته نصوص السنّة و ملاحظة المقاصد التي تشكل الإطار العام لكلّ التشريعات لئلّا نخرج في فهمنا واستنباطنا عن ذلك الإطار الذي حدّدته نصوص الكتاب و السنّة.

٦. الاهتمام بالمصاديق و الفروع التي جاءت في الكتاب و السنّة، ثمّ الفروع التي ذكرها الفقهاء و ملاحظتها ضمن الاطار العام الذي حدّدته نصوص الكتاب و السنّة.

٧. إنّ الفهم الاجتماعي للنصوص أصل لا بدّ منه، بمعنى ضرورة رؤية هذه النصوص من زاوية أنّ الاسلام دين أبدي اجتماعي، فهو يصلح لكلّ المجتمعات البشرية على مدى الأجيال ما مضى منها وما سيأتي، وأنّه جاء لإدارة شئون الحياة الفردية التي تقع في إطار اجتماعي دائماً بالإضافة إلى أنّه يحمل دعوى رسالة شاملة لكلّ مجالات الحياة وأنّ قوانينه قوانين دقيقة حيّة لتنظيم حياة المجتمعات بل العالم الانساني أجمع.

إذن، لا ينبغي أن نغفل عن هذه الحقائق التي تدخل كقرائن لُبيّة في فهم النصوص الدينية وتؤثّر بلا ريب في كيفية استنباط الأحكام من خلال النصوص.

٨. وعلى هذا فالقواعد الفقهية لا تُدرس بشكل منفصل عن بعض، ما دامت تدخل في بنية النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتربوي والأخلاقي الاسلامي، بل تلاحظ مترابطة، كما قد تدخل تطبيقاتها في أكثر من مجال.

٩. وتبقى قضية الاسس الأخلاقية التي يبتني عليها فقهنا الإسلامي قضية جوهرية تدخل في صميم فقهنا، و ينبغي أن تؤخذ بنظر الاعتبار في كلّ مجالات الاستنباط، سواء كان الاستنباط على مستوى حكم فردي أو اجتماعي فرعي، و في قضية معيّنة أو على مستوى قاعدة فقهية أو نظرية فقهية أو نظام فقهي.

وما قاله العدلية من ابتناء كلّ الأحكام الأخلاقية على مسألتي حسن العدل و قبح الظلم يعتبر مؤشّراً واضحاً لهذا الاتجاه، حيث نعتبر الشارع الأقدس لا يتجاوز هذين الأساسين، ممّا يعني أنّ الشريعة الإسلامية في روحها شريعة ذات محتوى أخلاقي وأسس قيميّة فريدة. وقد أيّد القرآن الكريم هذا التأسيس الرائع حين قال تعالى عارضاً الخطوط العريضة للشريعة الإسلامية في محكم كتابه الخالد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

١٠. إنّ في هذا الذي نصّت عليه الآية الكريمة لبلاغاً لقوم يعقلون و يتفقّهون، و ذلك حين يلتفتون إلى أنّ هذه الآية المباركة قد جمعت في نفسها كلّ اطر التشريع الإسلامي و الوجهة التي تتوجّه إليها الشريعة الغرّاء في تفاصيل أحكامها، و كم لها من نظير يستحق التأمل و الدراسة الجادّة حين تصنّف مداليل الآيات حسب تسلسلها الهرمي من الاسس الى الخطوط العريضة الى التفاصيل ثمّ الفروع و التطبيقات.

وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المصدر: مجلة فقه أهل البيت (عليهم السلام) (بالعربية)، ج٤٣

أسئلة وردود

إيمان الإمام علي في حداثة السن

الوهابية يقولون: نحن نقر بأن عليا كرم الله وجهه أول من آمن، وأن أبابكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة آمنوا بعده بمدة من الزمن، ولكن إيمان أولئك يفرق عن إيمان علي بن أبي طالب إذ لا يحسب العقلاء إيمانه في ذلك الزمان فضيلة، ويحسبون إيمان أولئك المتأخرين عنه فضيلة! لأن عليا كرم الله وجهه، آمن وهو صبي لم يبلغ الحلم، وأولئك آمنوا وهم شيوخ كبار في كمال العقل والإدراك. ومن الواضح أن إيمان شيخ محنك ومجرب ذي عقل وبصيرة أفضل من إيمان طفل لم يبلغ الحلم. و اضافة على هذا أن إيمان سيدنا علي تقليدا وإيمانهم كان تحقيقا وهو أفضل من الإيمان التقليدي.

الجواب

هل إن عليا عليه السلام حين آمن صبيا، كان إيمانه بدعوة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم من عند نفسه أم الهام من الله؟!

اولاً لا تقولوا الهاماً فتقدموه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأن النبي لم يعرف الاسلام حتى أتاه جبرائيل و عرف له الاسلام و علمه .

ثانياً: اذا قلتم من عند نفسه و هو أسلم بطريقة لم يكن أحداً أسلم مثله، فلا نقيسه مع أي أحد من الصحابة الذين أسلموا بدعوة من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيعد من خصائص الفضائل التي لم يشاركه أي أحد فيه.

أما إذا قلتم بأن إسلامه كان بدعوة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فنقول :هل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين دعا عليا عليه السلام إلى الإيمان كان يعلم أن لا تكليف على الطفل الذي لم يبلغ الحلم أم لا؟!

إذا قلتم: ما كان يعلم! فقد نسبتم الجهل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك لا يجوز، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم مدينة العلم، ولا يخفى عليه شيء من الأحكام.

وإذا قلتم: إنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم أن لا تكليف على الطفل ومع ذلك دعا عليا عليه السلام وهو صبي إلى الإيمان بالله والإيمان برسالته، فيلزم من قولكم إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام بعمل لغو وعبث، والقول بهذا في حد الكفر بالله سبحانه! لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤيد بالعصمة، ومسدد بالحكمة من الله تعالى وهو بريء من اللغو والعبث، وقد قال عز وجل في شأنه:

{وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى}

ومن جانب آخر، صغر السن لا ينافي الكمال العقلي، وبلوغ الحلم وحده لا يكون سبب التكليف، فإن هناك من بلغ الحلم ولم يكلف . لقصر عقله وسفهه. وبالعكس، نجد من لم يبلغ الحلم، لكن الله كلفه بأعظم التكاليف، كما قال سبحانه وتعالى في شأن يحي عليه السلام: {وآتيناه الحكم صبيا}

وقال تعالى حكاية عن عيسى بن مريم: {إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا}

قال هذه الجملة، وهو صبي في المهد، فالحكم المأتي ليحيى إنما كان تكليفا من الله تعالى ليحيي عليه السلام، والنبوة كذلك تكليف من عند الله عز وجل لعيسى بن مريم عليه السلام، وهذان التكليفان لهذين الصبيين، دليل على عظمة شأنهما وكمالهما وكفايتهما وفضلهما و وفور عقلهما.

وإيمان الإمام علي عليه السلام بدعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو تكليف موجه من هذا القبيل، وهو على فضله وكماله أكبر دليل!

وقد أشار سيد الشعراء إسماعيل الحميري. المتوفي سنة ١٧٩ هجرية .إلى هذه الفضيلة قائلا:

وصي محمد وأبو بنيه و وارثه وفارسه الوفيا

وقد أوتي الهدى والحكم طفلاً كيحيى يوم أوتيه صبيا

كما كان الإمام علي عليه السلام يشيد بهذه الفضيلة ويفتخر بها في أشعاره:

سبقتكم إلى الاسلام طرا * على ما كان من فهمي وعلمي

وإذا كان إيمانه في الصغر لا يعد فضيلة، فلماذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينوه به ويشير إليه؟! وما ذلك إلا ليسجل له فضيلة أخرى، تضاف إلى فضائله الجمة؟!

قال الحاكم النيسابوري : ولا أعلم خلافا بين أصحاب التواريخ أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أولهم إسلاما.

و قد روى الحاكم روايتين صحيحتين في الامام علي بأنه اول من اسلم:

عن قيس بن أبي حازم ، قال : كنت بالمدينة فبينا أنا أطوف في السوق إذ بلغت أحجار الزيت ، فرأيت قوماً مجتمعين على فارس قد ركب دابة ، وهو يشتم علي بن أبي طالب ، والناس وقوف حواليه إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فوقف عليهم ، فقال : ما هذا؟ ، فقالوا : رجل يشتم علي بن أبي طالب ، فتقدم سعد فأفرجوا له حتى وقف عليه ، فقال : يا هذا ، علام تشتم علي بن أبي طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ، ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ وذكر حتى قال : ألم يكن ختن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إبنته؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزواته؟ ثم إستقبل القبلة ورفع يديه ، وقال : اللهم إن هذا يشتم ولياً من أوليائك ، فلا تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك قال قيس : فوالله ما تفرقنا حتى ساخت به دابته فرمته على هامته في تلك الأحجار ، فإنفلق دماغه ومات ، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه.

عن إبن عباس ، قال : قال أبو موسى ، الأشعري : إن علياً أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه.

المصدر: المواقف (مع الاختصار)

▫ مقالة/ الجزء الثالث والأخير

فقه الإعلام؛ المنبر الحسيني أُنموذجاً

▫ سماحة السيد محمود المقدس الغريفي

الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

ومصداق لقول جده رسول الله ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين».

فإنّ رسالة المنبر الحسينيّ هي رسالة الإسلام، ومنهجه الدعوة للإيمان والإصلاح والتكامل الإنساني، وعلى ذلك؛ لا بد أن تكون رسالة الخطيب الحسينيّ رسالة الإسلام، وأهدافها عين أهدافه، ومضمونها هو مضمون رسالة الحسين ودعوته.

فكما أن الحسين عليه السلام كان ممثّلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله في دعوته ومنهجه الذي يمثّل حُكم الله عزوجل في أرضه، فكذلك الخطيب الحسينيّ المفترض أنه يمثّل الحسين عليه السلام في دعوته ونهضته وأهدافه على منبره.

▪ أهداف نهضة الحسين عليه السلام وشعارها

إنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يخرج في نهضته لأهداف دنيويّة ولا لمصالح آنية، ولا طالباً لسلطة أو مال أو جاه؛ فإنه عليه السلام قد ملك أسباب ذلك كله، وحاز أصولَها وفروعها، وقد استغنى عنها، شرفاً ونسباً، علماً ومكانةً، إخلاصاً وإيماناً، غنىً وكرماً، شجاعةً وحلماً، جاهاً وتواضعاً، منزلةً وزهداً، إباءً ومروءةً، مع احتياج الكل إليه في ذلك.

ولكنها حميّة الرسول على ضياع الرسالة، وخوف الوصيّ من إهمال الوصيّة، وحرص المؤمن على حفظ صورة الدين؛ ولذلك قال عليه السلام عند مسيره إلى كربلاء: «إنّ هذه الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها، فلم يبقَ منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحق لا يُعمل به، وأن الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً».

ثم رفع شعاره في الخروج على الظالمين والمنافقين، الذين اتّخذوا الدين غطاءً يتسترون به لإخفاء موبقاتهم ومفاسدهم وجرائمهم، وأعلن عن أهداف نهضته، فقال عليه السلام: «وأنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدي ﷺ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام، فمَن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومَن رد عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين».

▪ أهداف المنبر الحسيني

لقد أعلن الإمام زين العابدين عليه السلام أهداف المنبر الحسيني عندما قام بين يدي الطاغية يزيد، وقال له: «يا يزيد، ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد، فأتكلّم بكلمات لله فيهن رضا، ولهؤلاء الجلساء فيهن أجر وثواب»، فهذا هو الهدف السامي للمنبر، وما يعرض عليه من القيم الراقية والمُثل العليا.

فإنَّ المنبر الحسيني برفعه الشعار الحسينيّ العظيم، قد أقضَّ مضاجِع الحُكّام والطواغيت، وأربك المنافقين وأعداء آل محمد، وحيّرَ التبشيريين والمستشرقين، ثم أنه بنى مجتمعاً ولائياً مخلصاً، وَرَسَّخَ فيه العقيدةَ المحمديّة الصادقة، ورسم لهم دروب التضحية والوفاء، ورفع بينهم راية الحريّة والإباء.

▪ المنبر الحسيني وسيلة إعلامية فاعلة

الخطيب الحسينيّ هو الإعلاميُّ الملتزم بأهداف نهضة الحسين عليه السلام، والمتمسك بشعارها ومنهجها ومسيرتها، ومنبره هو الوسيلة الإعلاميّة الحيَّة والمباشرة، التي يتواصل عبرها الإعلامي ـ أو الخطيب الحسينيّ ـ في عرْضِ أهدافه ومضمون رسالته إلى المتلقين والمستمعين من أبناء المجتمع.

فبذلك يولد التفاعلُ الحيّ والترابط الوجدانيّ بين الخطيب الحسينيّ من جهة، وبين أبناء المجتمع وطبقاته المختلفة من جهة أُخرى، ويعمّق التلاقح الفكري، وحيث إن المنبر الحسينيّ هو الوسيلة الإعلاميّة الفاعلة، والقناة التي تربط بين الخطيب الحسينيّ وأبناء المجتمع، ومع توسع هذه القناة الإعلاميّة وانتشارها، ومتابعة العالم له وتوجهه إليه، على اختلاف أديانه ومذاهبه، وتوجهاته ومُنعطفاتِه، وذلك بفضل شيوع القنوات الفضائية وانتشار الشبكة العنكبوتيةالأنترنت، وسهولة الحصول عليها والاتصال بها، مع التزام بعض القنوات الفضائيّة ببثّ محاضرات ومجالس المنبر الحسينيّ، لمختلف الخطباء، ومن أماكن وبلدان متنوعة، وهذا ما جعل المسؤوليّة على الخطيب الحسيني أعظم وأدق، ومهمته أكبر وأحرج، في نشر وعَرْض رسالة الحسين عليه السلام، وفكر أهل البيت عليهم السلام من العهود السالفة؛ لأن الإعلام الخارجي المفتوح غير الإعلام الداخلي المحصور، حيث كانت المناطق التي يقام فيها المجلس الحسيني محدودةً، وفي طبقة فكريّة وثقافيّة محصورة، في بلدان خاصة، ذات طابع عقائدي واحد في الجملة، وأنّ ما يُلقى فيها غالباً لا يتعدى هذه الجموع الحاضرة والبلدان التي تقام فيها هذه المجالس، فكانت تعطي للخطيب الحسيني جانباً من الحريّة في عرض الروايات الخاصة، ومساحة من النقاش لبعض الأمور التي تمس عقائد الآخرين، بلا قيد أو تحجيم، وبما يتناسب مع طبيعة الحاضرين، وثقافة البلد الذي أحيى هذا المجلس.

أما اليوم.وبانتشار المجالس والمحاضرات الحسينيّة في مختلف البلدان، ونقلها عبر الأثير على العديد من القنوات الفضائية. فقد أصبح المتابعون لها من المستمعين والمشاهدين يُمثّلونَ تنوّع الثقافات والاتجاهات الفكرية والعقائدية، ومختلف الديانات والمذاهب، السماويّة والوضعيّة؛ فبهذا ازدادت المسؤوليّة على الخطيب الحسينيّ وعَظُمت، واتسعت صلته بالجماهير على اختلاف ثقافاتهم، وتنوّع مفاهيمهم الفكرية.

وعليه؛ لا بد أن يختلف العرضُ والمضمون على المنبر اليوم عن العهود السابقة، المحدودة الحضور والثقافة والبلد، وأن يكون نهج الخطباء التزام ما رُوي عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي، قال: «سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: رحم الله عبداً أحيى أمرنا. فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس؛ فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا».

فإنّ التمسك بعلوم أهل البيت عليهم السلام، والاغتراف من نمير مناهلها، وإيصال محاسن كلامهم ومعارفهم إلى عموم الناس -وكل كلامهم حسن- بالحكمة والموعظة الحسنة في الأسلوب والعرض، مع إقامة الدليل العلميّ والبرهان والحجة، كُلّ ذلك خيرُ معينٍ في مخاطبة العقول، وأسلمُ الطرق للوصول إلى قلوب عامة الناس، والمفتاح لنشر فكر أهل البيت عليهم السلام إلى عموم الثقافات الأُخرى والمذاهب المختلفة؛ وبهذا يتأصّل نهجهم، ويتركّز كلامهم، وتثبت معارفهم في النفوس؛ تمهيداً لاتباعهم والتمسك بمنهاجهم وقبول هديهم، بعيداً عن الطعن والسّباب، والدخول في المحاور المتشنجة في العرض، الذي نأى عنه أئمة أهل البيت عليهم السلام، من خلال سيرتهم وسلوكهم مع عموم أبناء المجتمع، على اختلاف طبقاتهم الاجتماعيّة، ومذاهبهم الدينيّة والعقائديّة، وتنوّع ثقافاتهم واتجاهاتهم؛ بما يحقق التعايش السلمي بين المسلمين عموماً، وأبناء المجتمع الواحد خصوصاً، وهذا هو السلوك القويم الذي سار عليه أهل البيت عليهم السلام؛ تبعاً لسيرة جدهم المصطفى ﷺ، الذي مدحه الله عزوجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

فإنّ سبّ الله عزوجل ـ في الآية الكريمة. سبّهم عليهم السلام، «وإنما نسب سبّهم إلى ذاته المقدسة تشريفاً وتعظيماً لهم، وليس المراد سبّ الله عزوجل حقيقة؛ لأنّ أحداً لا يسبّه، كما وقع التصريح به في بعض الروايات وبالآيات أمير المؤمنين عليه السلام، وقد وقع التصريح به في بعض الروايات، وربما يؤيده تذكير الضمير في غيره».

فهذا هو خُلق القرآن الكريم، وخُلق الرسول العظيم، وخُلق أهل بيته الأطهار، وهذه توصياتهم وإرشاداتهم للمؤمنين.

فعلى الخطيب الحسينيّ أن يلتزم بهذا أيّما التِزام، فيتثبّت بالقول الحسن، وبالأسلوب العلميّ الهادئ الرصين على المنبر، بما يرفع مكانة مَن يريد أن يوصل رسالتهم إلى الناس، ويحببهم ويقربهم إلى النفوس، ويقوّي مودتهم في قلوبهم، وينقل علومهم إلى العالم أجمع، في تبني عرض أفكارهم ومعارفهم، والاهتداء بسيرتهم وسلوكهم؛ فيدفع بذلك عنهم كل قبيح يحاول أعداؤهُم إلصاقه بهم وبمنهجهم كذباً وبهتاناً، ولكن بعيداً عن المهاترات والسُباب، وتجاوز حدود اللياقة في العرْض، وتجريح الآخرين.

وهذا الأمر يسري إلى عموم وسائل الإعلام الأُخرى: كالصحافة، ونشر الكتب ونحوهما.

وفي خلاف ذلك، فإن الأمر قد يجرّ السوء أو القبح إليهم عليهم السلام، والنفور والبعد عنهم، فيكون بذلك قد شانهم، وخالف أمرهم، والعياذ بالله...

وقد قيل للإمام الصادق عليه السلام: «يا بن رسول الله، إنا نرى في المسجد رجلاً يعلن بسبّ أعدائكم ويسميهم. فقال: ما له ـ لعنه الله ـ يُعَرِّض بنا؟! وقال الله تعالى: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ من دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾».

وفي رسالة لأبي عبد الله الصادق عليه السلام إلى أصحابه وشيعته، جاء فيها: «وإياكم وسبّ أعداء الله حيث يسمعونكم فيسبّوا الله عدواً بغير علم، وقد ينبغي لكم أن تعلموا حدّ سبّهم لله كيف هو؟ إنه مَن سبَّ أولياء الله فقد انتهك سبّ الله، ومن أظلم عند الله ممن استسبّ لله ولأولياء الله، فمهلاً مهلاً! فاتّبعوا أمر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وقال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾.

وأجزم أن هذا الأمر المهم اليوم أحوج ما نكون إلى الالتزام به على المنبر الشريف، والسير على هدْيه ومبناه، مع توسع قنوات الاتصال الإعلاميّة وسرعتها، وانتشارها وتنوعها؛ لإيصال علوم أهل البيت عليهم السلام ومعارفهم، التي تخاطب العقول مباشرة، وتُذْعِن لها القلوبُ مُسلّمة، صافية نقية هانئة، بلا شائبة أو دغل، إلى أقاصي بلاد الأرض، وعموم أبناء البشر، فتدخل إلى أروقتهم ونفوسهم بلا استئذان، ومن دون جهد وعناء وكلفة.

▪ ثقافة الخطيب الحسيني وسلوكه

هذا وعلى الخطيب الحسينيّ أن يكون بمستوى عالٍ من الإيمان والورع، والتثبُّت والحكمة والدراية؛ لأنَّ الخطيب الرساليّ يكون مرآة للآخرين، تعكس أفعالهم وأخطاءهم، وعليه توجيههم إلى الطريق الصحيح، وأن يحذر من تقمّص السلوك الخاطئ مع نفسه، وينأى عن التلبس به؛ لأنه سرعان ما تنكسر صورته أمام الناس، ويهتزّ كيانه في المجتمع، فلا يُقبل منه قول، ولا يؤخذ عنه شيء، ويصبح كلامه لا أثر له ولا قيمة في نفوسهم، فيسقط عن أنظارهم، ولا تقبله قلوبهم.

وعليه أن يفهم أنّ مسؤوليته هي جزء من مسؤولية الأنبياء والأوصياء والمصلحين الرساليين، بل هو مصلحٌ رساليٌّ وسفيرٌ للحسين عليه السلام ولسانه الناطق، وسيفه الضارب على الجاهلين والظالمين والمارقين، شجاعٌ في العَرْض، لا يَهاب أحداً ما دام على الحق، وناطقاً بالصدق، وأن يكون أهلاً لهذه الصفة الكريمة، وصادقاً في تحمُّل هذه المسؤولية الرساليّة.

إنّ المسؤوليّة الرساليّة تُحتّم عليه أن يكون كلامه فيما يرضي الله عزوجل، ويقرّب إلى رحمته ورضوانه، في كل ما ينفع الناس في دنياهم وآخرتهم، ويثبّت إيمانهم ويُقوّي عزيمتهم، فلا يشتري مرضاة المخلوق بسخط الخالق، وأن لا يكون أداة يلهو بها الشيطان، يستفرغ سمومه وغوائله عن طريقه، فيكون مفسداً في الأرض، فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يؤدي عن الله عزوجل فقد عَبَدَ الله، وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبَدَ الشيطان». فإنّ ما يرضي الله تعالى فيه الأجر والثواب، كما فيه صلاح الناس وهدايتهم.

وعلى الخطيب الحسيني أنّ يكون بمُستوًى عالٍ من الثقافة العامة؛ حتى يُغني المنبر بالبحث والنقاش، ويفتح آفاق المستمعين على اختلاف مستوياتهم العلميّة والثقافيّة، بما يدور في المجتمع، من أفكار وآراء وأطروحات، بل وما يدور في عموم العالم المحيط بنا، ولو بالسؤال والاستفسار من خلال البحث والمتابعة عن ذلك، فضلاً عن معرفته ودرايته بثقافة مجتمعه، وما يحيط به من أحداث ومشاكل ورؤى على كافة الصعد؛ حتى ينير ذهنيّة المستمع والمتلقي، ويوضّح له الطريقَ الصحيح في الحياة، بأسلُوبٍ سليم، ذي مطالب واضحة ليست بالغريبة، وحقائق علميّة ثابتة ليست بالفرضيّات، مما تتقبله القلوب والعقول، لا أن تنفر منه الطباع والنفوس، أو يثير التساؤل والتشكيك.

وعليه أن يكون مستوثقاً في نقله للروايات والأخبار على المنبر، مميزاً الغثّ منها عن السمين، وإن كان باعتماده على الكتب المعتبرة والموثّقة والمحقّقة، وألاّ يكون عَرْضُهُ للأفكار والآراء إلا بعد دراستها وتمحيصها، بعد تتبُّع أصولها ومنابعها، ثم التشاور والتباحث فيها مع أهل العلم والفضل والتحقيق؛ لأن الخطيب قد يقع في الخَلط أو التشويش من حيث لا يشعر، وذلك بعرْض كل ما صادفه من رأي ـ أو سمعه من قول، أو قرأه من كتاب ـ على المنبر، بدون تدقيق أو مراجعة أو تأمّل فيها، وهذه آفة المنبر وهدم دوره البنّاء في خلق مجتمع إسلامي واع.

كما ينأى بالمنبر عن سَرد القضايا الشخصيّة والآراء النفسيّة وغلبة الهوى، حيث يتطاول على بعض الناس ويسفّه أفكارهم وعقولهم ويستهزئ بهم؛ لمخالفتهم رأيَه الشخصي مثلاً.

وأن يكون عَرْضه مبنيّاً على العلم والعقل، لا على المنامات والتخيّلات الشخصيّة والنفسيّة، وأن يعتمد على ما أجمعت عليه الطائفة واشتهر عندها، ويبتعد عن شواذّ الآراء والأخبار، التي قد يقف عندها المعاند رافضاً طاعناً، والجاهل مشككاً متوقفاً، والمتعلم مستغرباً مستهجناً، لاسيما مَن كان بعيداً عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام ولم يألف معارفهم وعلومهم، ولم يقف على معناها ولا دلالتها، مع اختلاف النظرة إليها.

بل عليه أن يكون عَرْضهُ على مبتنيات علميّة، وأسس عقليّة، وثوابت شرعيّة، حيث لا يمكن الطعن بمقدماتها ولا نتائجها، مهما اختلفت ثقافة المتابع أو المستمع.

وعليه أن ينزّه المنبر من جعله حَلبَةً ووسيلة للصراعات السياسيّة والاجتماعيّة التي تحدُثُ في المجتمع، فإنَّ المنبر أجلّ وأسمى من ذلك كلّه.

ويبقى هدف المنبر خالصاً لله عزوجل، ولما بُعث به رسوله المصطفى ﷺ، وما بُشّر به أهل بيته الأطهار عليهم السلام؛ وأنْ لا يُتّخذ وسيلة للإفساد والإخلال بين الناس، أو يستغل في مدح الظالمين والدفاع عنهم، إلا في فَضْح أصحاب المروق والضلالة، الذين ثَبَتَت ضلالتُهم في الدين وظهرت للعَيان؛ لتحصين الناس الأغمار والسُذَّج من التأثر بأفكارهم الضالة وآرائهم المنحرفة، حتى لا ينخدعوا بهم، مع بيان وجه الضلالة والشبهة للمجتمع، وسبب الانحراف، لا التعرض لهم بالتنكيل والتطاول والإلغاء فقط؛ فإن هذا لا يحل المشكلة، ولا يرفع الشبهة.

وعلى الخطيب الحسينيّ أن يؤمن بأَنَّ ارتقاء المنبر ليس صنعة أو مهنة يعتاش منها، ويكون جُلّ همه وغايته الحصول على الأموال عن طريقه، فيتعامل على ذلك كما يتعامل على بيع أو شراء سلعة من السوق! أو يتخذه لطلب الرئاسة والجاه؛ ليشبع شهوته بحب الظهور والشهرة، فقد روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «وإياك أن تترأس بنا فيضعك الله، وإياك أن تستأكل بنا؛ فيزيدك الله فقراً».

إنما هو عمل رساليّ، مهمته بناء وإصلاح الأمّة، وقد ارتبط ارتباطاً وثيقاً برسالة الأنبياء والأوصياء والمصلحين الرساليين، الذين ضَحَّوا بكُل غالٍ ونفيس من أجل المبدأ والعقيدة، والوصول إلى الهدف السامي في نشر الوعي الرسالي وتبليغ الأحكام والعقائد الإلهية الحقّة...

فالخطيب الحسيني هو صاحب دَعوَةٍ رسالية، وإعلام هادف، وغاية نبيلة سامية، وهي الدعوة لتثبيت نهج الحسين عليه السلام، والسير على هَدي رسالة جَدهِ المصطفى ﷺ، وتركيز مبادئ الإسلام.

وعلى ذلك؛ فالمنبر الحسيني يُعدّ اليوم من أهم الأدوات والوسائل الإعلاميّة الفاعلة والمؤثرة في المجتمع، فهو حيّ وحيويّ، يربط بين الوعي المعرفيّ والتنوير العلميّ، وبين العمق الدينيّ، بما يهبه من أجر وثواب واستثمار للوقت، وما يخلقه من الترابط الاجتماعي والبناء الروحاني بين الناس، قديماً وجديداً، حاضراً ومستقبلاً، فإنّه ما زال ينبض بالعطاء والحياة بِرَغم تطور أدوات الإعلام ووسائله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

انتهت

المصدر: مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

الآفاق
• السنة الأولي
• العدد ٣٢
• الأثنين ٢٧ محرم الحرام ١٤٤٤ هـ.ق
• ٨ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
• متعلق بمركز إدارة الحوزات العلمية
• المشرف: رضا رستمى
• مدير التحرير: علي رضا مكتب دار بمساعدة الهيئة التحريرية
• هاتف: ٣٢٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
• ص. ب: ٣٧١٨٥/٤٣٨١
• العنوان: قم، شارع جمهوري، زقاق ٢، رقم ١٥
• الموقع: www.ofoghhawzah.ir
• البريد الالكتروني: info@ofoghhawzah.ir
• تصميم: السيد امير سجادي • مسئول الطبع: مصطفى اويسى
• طباعة: صميم ٤٤٥٣٣٧٢٥ ٢١ ٩٨+

شعر وقصيدة

في إباء الإمام الحسين عليه السلام

السيد حيدر الحلي رحمه الله

طَمِعَتْ أن تسومَهُ القومُ ضَيماً
وأبى اللهُ والحسامُ الصنيعُ
كيفَ يلوي على الدنية جيداً
لسوى اللهِ ما لواهُ الخضوعُ
فأبى أن يعيشَ إلا عَزيزاً
أو تَجَلى الكفاحُ وهو صريعُ
زوّجَ السيفَ بالنفوسِ ولكن
مهرُها الموتُ والخِضابُ النَّجيع
بأبي كالئاً على الطفِ خدْراً
هوَ في شفرةِ الحُسام منيعُ
قَطعوا بعده عُراه ويا حبلَ
وريدِ الإسلامِ أنت القطيعُ
قوّضى يا خيامَ عَليا نِزار
فلقدْ قوّضَ العمادُ الرفيعُ
واملأي العينَ يا أمية نَوماً
فحسينٌ على الصعيدِ صَريعُ
وَسَروا فى كرائم الوحي أسرى
وعَداك ابن أمِها التقريعُ
فترفقْ بها فما هي إلا
ناضرٌ دامعٌ وقلبٌ مَروعُ

تعريف بالمراكز والمؤسسات الدينية الشيعية

مجمع الإمام الحسين العلمي لتحقيق تراث أهل البيت عليهم السلام

▪ تعريف المجمع

يُعَدّ هذا المجمع مركزاً مهّماً من مراكز تحقيق التراث، ويقف في الرعيل الأوّل في العراق، إذ يمتاز بعدّة ميزات تهمّ المحقق والتحقيق، فهو يزوّد المحققين بما يحتاجونه من نفائس المخطوطات وبما يعينهم على تذليل الصعاب في ذلك السبيل، كما يلمّ شملهم ويستقبل نتاجاتهم، إضافة إلى فتح باب العمل المشترك مع المؤسسات العلمية والمحققين.

وقد استقطب المجمع الكثير من المحققين الحوزويين والأكاديميين في داخل العراق وخارجه، ونتج عن ذلك مجموعة كبيرة من الكتب المحققة حول تراث أهل البيت عليهم السلام وكانت كلّ هذه الإنجازات بفضل رعاية العتبة الحسينية المقدّسة على مُشرِّفها آلاف التحية والثناء وتوجيهات الأمين العام سماحة العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي، واهتمامه الكبير بإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام.